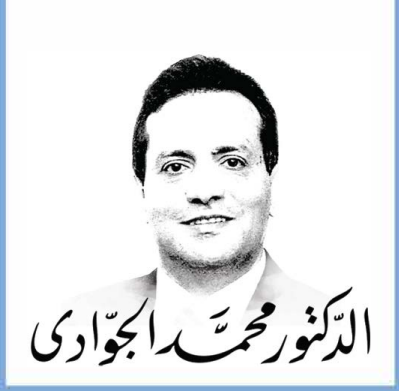

الدكتور محمد الجوادي

العامة في عصر الصحوة

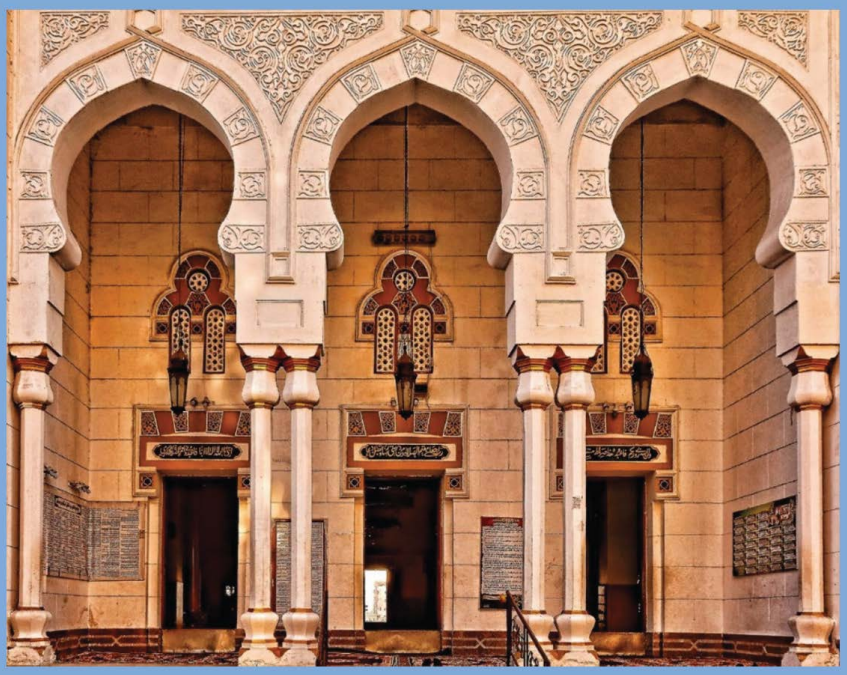

دار الروضة
للطباعة والنشر والتوزيع

العمامة في عصر الصحوة

الدّكتور محمّد الجوّادي

العامّة في عصر الصّحوة

دار الروضة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

2021 - 1442

ISBN 978.625.7580.71.7

إهداء

إلى أخي الكبير

الدكتور حمدي الجوادي

هذا الكتاب

نستعرض في هذا الكتاب سير أربع من الشخصيات التي كانت بمثابة النجوم الهادية في عصر الصحوة الإسلامية التي ارتبطت بوصول الرئيس أنور السادات إلى الحكم وتمكنه من مفاصل السلطة بعد شهور من توليه ، و ظهرت إشاراتها بإعلانه شعاره العلم والإيمان ، وبداية إعلاء كلمة الإسلام في كل ما يتصل بالحياة، ولم تكن هذه الخطوة الجبارة التي أنجزها رجل واحد ممكنة الحدوث على يد غيره من رجال الدولة المتاحين في عصره ، بل ربما أنها لم تكن متوقعة منه في ظل ما كان معروفا من أنه يدرك و يقدر حقائق التوازنات : دولية و عربية وداخلية ، لكنه مضى فيها بإيمان عميق بأن الله سينصره فيها. لا تزال مراكز دراسة المجتمعات عاجزة حتى يومنا هذا عن إدراك سر النجاح الذي تحقق على يدي الرئيس السادات في إتمام هذا التوجه الإسلامي ، على الرغم من أن "الدولة" بكاملها كانت قد ارتمت بأكثر من أي دولة أخرى في أحضان الاتحاد السوفييتي الذي كان قد أصبح وضعه في مصر وكأنه يملك القرار والخبراء والوجود والحضور والمؤمنين به والعاملين لأجله ، و يملك اتفاقا وديا غير معلن بتخلي الغرب له عن مصر، وقد وصلت مكانته الفعلية إلى ما يفوق مكانة البريطانيين الذين مارسوا الاحتلال البريطاني منذ ١٨٨٢ ، بل كان السفور في التعبير عن الدين على أنه رجعية قد وصل إلى حد لم يصل إليه في أي مكان آخر، ومع هذا فإن المجتمع الذي مزقته الهزيمة النكراء في يونيو ١٩٦٧ كان قد أصبح يريد أن يتعلّق بأي قشة تنقذه من الغرق، سواء في ذلك الشيوعية أو العمل الفدائي أو البحث عن خرافات مصنوعة من قبيل ظهور العذراء ، لكن هذا كله لم يمنع الحديث الهامشي أو المختلج في النفوس من دون أن يظهر على الألسنة بأننا ارتكبنا من المنكرات ،والفسوق ، والظلم الاجتماعي ، وافتراء السلطة ، وإهدار حقوق الإنسان، والتخلي عن الإسلام ، والبعد عن قيم الدين ما كان يستحق أكثر بكثير من الهزيمة التي حاقت بنا. ومن الإنصاف أن نقول إن الصحوة الإسلامية ظهرت على يد الرئيس قبل غيره وعلى يد شيخ الأزهر قبل غيره، ومن الإنصاف أن نقول إن الصحوة الإسلامية كانت أمنية و تعبيرا عن أمنية كما كانت إيمانا و تعبيرا عن إيمان ، ولم تكن هذه الصحوة أبداً على تلك الصورة التي بدأت مصر الرسمية والصحفية تصورها بها بعد وفاة السادات قائلة إنها كانت نوعاً من "التحريش" المقصود به تقليم أظافر الشيوعيين أو مواجهة الناصريين ، وإلا ما

استمرت الصحوة حتى الآن و ما انتشرت في العالم كله ، ومن ناحية أخرى فإن مجابهة الشيوعيين و الناصرين لم تكن تتطلب كل هذه الملحمة فقد ثبت أن هؤلاء كانوا من الضعف الفكري والشعبي بحيث لا يحتاجون أكثر من نفحة أو نفختين من نفخات الأطفال في شموع عيد الميلاد! ومع هذا فلا يزال الذين يرتدون ثياب الأساتذة والباحثين يروجون لمثل هذه الأفكار المتهالكة لسبب جوهري وعملي و وجيه وهو أن لها تراثا نظريا هائلاً ملأ آلاف الصفحات عند الباحثين المشتغلين بحكم الوظيفة بالسياسة والتاريخ والاجتماع و الاجتماع السياسي، ومع احترامنا الشديد لهذا السبب وما نتج عنه من أكوام البحوث والدراسات المستوفية للشكل العلمي فإننا كنا و لا نزال نجاهر منذ أكثر من عشرين عاماً بأن هذه النظريات قد تكون جيدة الصياغة من الناحية الشكلية أو الفنية لكنها لا تمت للواقع بأية صلة، وإلا فقد كان في وسع هؤلاء الناصريين والشيوعيين بعد ما أخليت لهم الساحات منذ ١٩٨٢ أن يصولوا ويجولوا ويعودوا، وبخاصة مع ما أتيح لهم و لرموزهم من مواقع التأثير الرسمية و شبه الرسمية ، لكنهم بحكم طبائع الأشياء ازدادوا ضعفا وتضعضعا ، وعاشوا على ذكريات أمجاد التنظيم الطليعي التي لم تتعد في تجلياتها أكثر من مهارة كتابة (أو بالأحرى صناعة) التقارير.

على أن الصحوة الإسلامية لقيت ما هو أمرّ وأنكى من هذا الذي لقيته على يد أعدائها من الناصريين والشيوعيين، ووجدت هذا الذي هو الأمر و الأنكى على يد الإسلاميين أنفسهم الذين لم يدركوا لأسباب مختلفة حقيقة نجاحهم ولا مدى هذا النجاح، وكان هذا طبيعيا في ظل أن من تصدوا لمواجهة الإعلام والباحثين كانوا من الذين تتلمذوا في مفاهيمهم السياسية (بحكم الواقع الزمني والدراسي) على يد اليساريين الذين تمكنوا بكل وسيلة ممكنة من تغييب حقيقة و طبيعة ومدى الازدهار الفكري الذي عاشته مصر بعد ثورة ١٩١٩، ومدى ما كان لرموز تلك المرحلة من دور في بناء أسس الصحوة الإسلامية على نار هادئة ، بل لقد استعذب الإسلاميون (وهو معذورون بالطبع في هذا الاستعذاب المناقض والمعادي للاستيعاب) أن يسيروا وراء الناصريين في تشويه تجربة سعد زغلول وفي تصديق وترديد الزعم المفتري الذي بثه الميثاق في مناهج الدراسة من أن ثورة ١٩١٩ فشلت ، وأنها فشلت لأن الباشوات ركبوها ! بدأ الإسلاميون المحدثون تأملهم في تجربتهم الناجحة في الصحوة الإسلامية بل المذهلة في نجاحها من منطق مركزي بدوي إن صح هذا التعبير الذي كان الشيخ الغزالي أول من نبه إليه ، فقد وجد الإسلاميون أنفسهم مطالبين بلا داع بأن ينظروا إلى ما تحقق في بناء عصر نهضة مصر على أنه لم يكن شيئاً مذكورا.. ولأن أحدا لم يعن بتصحيح الحقائق في وقتها فقد كان من الطبيعي

أن ينتقل هذا التشويه في مركزية الرؤية إلى ما شهده الإسلاميون أنفسهم بعيونهم وآذانهم من نصر أكتوبر ١٩٧٣ فإذا هم منذ نهاية التسعينات يكادون يصدقون أو لا يمانعون في أن يصدقوا مثلا ذلك الهراء الذي يقول بأن الحرب نفسها كانت تمثيلية، أو ذلك الهراء الذي يقول بأن الجهاد الأفغاني كان مدفوعا به من الأمريكان ، مع أن أمريكا نفسها لم تكن تعرف يومها الفرق بين باكستان وأفغانستان ... وهكذا.

لسنا نحب أن نستطرد في مثل هذه الاستطرادات التمثيلية أو الشارحة في هذه المقدمة مع أنها واجب علينا في كل حين ، لكنها تخرج عن حدود تقديم الكتاب الذي هو حريص في المقام الأول على أن يقدم صورة ناصعة لإسهامات ناصعة في هذه الصحوة من خلال رموز اخترناها بعناية لتمثل الطيف الجميل الذي تصدّر عصر الصحوة الإسلامية بكل ما في ذلك العصر من عوامل الإحياء (وليس الإصلاح فحسب) ومن عوامل الوجود (وليس الحضور فحسب) ومن عوامل الاستقلال (وليس الإسهام فحسب) ونحن نفعل هذا بصعوبة شديدة إذ نسير في حقول حافلة بالألغام التي زرعها أعداء الإسلام ، و أهمل الإسلاميون نزعها حتى بدا الأمر و كأنهم شاركوا عن قصد في زرعها . ومع أننا تعودنا أن نقدم صورة مصغرة لتوجهاتنا في كل كتاب فإننا نفضل في هذا الكتاب أن نقرأ ما قدمناه عن كل شخصية من شخصيات الكتاب، بعيداً عن إخضاع الشخصيات لتيار واحد أو منهج واحد أو أسلوب واحد في المقاربة ، ذلك أننا نتحدث عن "حالات" متحققة و مرصودة من الصحوة الذكية ، وليس عن تنظيم أو كيان مسئول عن حركة اجتماعية فكرية كان لها الأثر الذي لا يزال يعطي ثماره في العالم كله بعد خمسين عاماً من بدء هذه الحركة التي أيقظت ذلك المارد الفكري القادر على أن يقدم الحلول والنموذج والنجاح ، وأن يتصدى رغم القسوة والجفاف والعداء والاعتداء لكل دعاوى الإلحاد والعلمانية والتبعية والعولمة ونهاية التاريخ. لم يكن أي علم من الاعلام الأربعة الذين نتحدث عنهم في هذا الكتاب نبيا ولا رسولاً ولا مبشراً ولم يكن الرئيس أنور السادات الذي انبعثت هذه الصحوة على يديه نبيا ولا رسولاً ولا مبشراً لكن كل علم من هؤلاء الأربعة كان صاحب مشروع بأكثر من أن يكون مايسترو أو مديراً أو منفذا أو منقذا، و العادة في صاحب المشروع أن يمضى فيه إلى أقصى ما كان يمكن لإنسان، حتى لو مات شهيداً بائتلاف غير مقصود بين من لم يدركوا ومن لم يحبوا ومن لم يطيقوا، وها هي الصحوة الإسلامية لا تزال تؤتي ثمارها و لا تزال تتصاعد ، ولا تزال أيضا تعاني ممن يؤذونها وقد اجتمعت عليها جنايات الأقطاب الثلاثة، التي لم تدرك و التي لم تحب و التي لم تطق فأصابت مشروعها بالبطء لا بالموت.

أدعو الله سبحانه و تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، وأدعوه جل جلاله أن يوفقني إلي تقديم ما تبقى من أعمالي ، وقد طال العهد بتجاربها المطبعية في ظل غربتي ومرضي و تشردي و استيحاشي ، والوقت لا يسعفني، والجهد يتضاءل، والذكاء يخبو ، و الألمعية تنطفئ ، والقلب يئن ، والنظر يكل ، والعقل يتشتت ، والذاكرة تتبدد ، و السهل يتعقد ، والنَفَس يتقطع ، والأمل يتضعضع، والعمر قصير، والواجب كبير ، والمؤجل كثير ، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله وكرمه.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، و شرور العجز و الكسل و الوهن ، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدني برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله. والله سبحانه وتعالي أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي وحدسي و ذائقتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني.

والله سبحانه وتعالي أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغني، والبر والتقى، والفضل والهدي، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل ، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين ، وعطاء المحسنين ، وشك الأطباء، وتثبت العلماء ، وخيال المبدعين ، وتساؤلات الباحثين.

والله سبحانه وتعالي أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعّمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي ، بالطبع ، وبالتأكيد : كثيرة ،ومتواترة ،ومتنامية، فله سبحانه وتعالي - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل.

د. محمد الجوادي

الدكتور عبد الحليم محمود

الشيخ الأنور في الزمن الأزهر

مكانته في تاريخ الأمة

كانت مكانة الدكتور عبد الحليم محمود ١٩١٠ - ١٩٧٨ متتوأمة مع مكانة الرئيس أنور السادات ١٩١٨- ١٩٨١ ، وقد اكتملت هذه التوأمة في مصر والمجتمعات الدولية بناء عن اقتناع عميق من كليهما بضرورة هذه التوأمة ، فكان هذا الشيخ هو رمز الأزهر وعلمه الخفاق في عصر أنور الذي هو عصر الصحوة الإسلامية والنصر ، وليست المبادلة التي اختارها هذا العنوان أو افتعلها أو أجادها بين اسمي الأنور والأزهر إلا تعبيرا عما كان قائما بالفعل بين الرئيس والشيخ الذي عاش عصره ، ومن المدهش أن اختيار الرئيس أنور السادات لهذا الشيخ العظيم ليكون وزيرا للأوقاف ثم شيخا للجامع الأزهر قد تم بناء على مواصفات محددة اشترطت ان تجمع بين ثلاثة نجاحات ساحقة : المكانة العلمية ، والصلاح ، وحب الطلاب لأستاذهم، وهكذا كان من المنطقي أن يكون وزير الداخلية واحدا من المكلفين بالبحث عن الشخصية التي تجمع هذه المواصفات الثلاث، ومن المدهش أن الدكتور عبد الحليم محمود فاز بلا منافس تقريبا.

من هو سلف الشيخ في وزارة الأوقاف

إذا أراد القارئ ان يعرف من هو سلف الدكتور عبد الحليم محمود في منصب وزير الأوقاف فبوسعه أن يعرف ان هذا السلف كان عضوا في مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين (إذ لم يكن الرئيس عبد الناصر يطمئن في مثل هذه الحالة الا للإخوان المسلمين) وهو الدكتور عبد العزيز كامل ١٩١٩-١٩٩١ الذي دخل الوزارة أولا كنائب لوزير الأوقاف في مارس ١٩٦٨ وكان وزير الأوقاف هو نائب الرئيس حسين الشافعي ١٩١٨- ٢٠٠٥ وفي أكتوبر ١٩٦٨ أصبح عبد العزيز كامل وزيراً للأوقاف مع تفرغ حسين الشافعي لعضوية اللجنة التنفيذية العليا وبقي كذلك

حتى خلفه الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود في يناير ١٩٧٢. هذه هي الحقيقة التاريخية نثبتها على نحو ما حدثت ونتركها للقارئ والباحثين والمفكرين أيضا ليفسروها حسب أهوائهم المعروفة، فمن الممكن لأعداء الإخوان المسلمين والمأجورين على عداوتهم أن يقولوا إن الرئيس أنور السادات كان مصيبا بترك أستاذ الجغرافيا وعضو مكتب الإرشاد والعودة خطوتين للوراء لتكون وزارة الأوقاف طيلة عهده من حظ المشايخ أو العلماء الأزهريين، ومن الممكن أيضا لأعداء الرئيس أنور السادات و المأجورين على عداوتهم له والمتعسفين في هذه العداوة أن يقولوا إن الرئيس أنور السادات ترك الشخصية المدنية المستنيرة التي يمثلها أستاذ الجغرافيا، وعاد أدراجه إلى الرجعية المتمثلة في العمامة التي لا تزال تسبب لهم حساسية متجددة .

عمامتان لا عمامة واحدة

لهذه القصة بقية لا تسعد هؤلاء ولا أولئك وإنما تجعل كل استنتاجاتهم أقرب إلى التجديف ، ذلك أن الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود سرعان ما أصبح بعد سنة وشهرين شيخا للأزهر في مارس ١٩٧٣ عندما شكل الرئيس أنور السادات الوزارة بنفسه، وعاد الدكتور عبد العزيز كامل ليخلفه في وزارة الأوقاف [فقط] ، مع حدوث تطوير أروع وهو أن الشيخ عبد العزيز عيسى ١٩٠٨- ١٩٩٤ زميل دفعة الدكتور عبد الحليم محمود وأول هذه الدفعة في التخرج ، ووكيل الأزهر الشريف في ذلك اليوم دخل الوزارة وزيراً لشئون الأزهر فقط ، وليس للأوقاف وشئون الأزهر معا كما كان العهد في الجمع بين المنصبين .

وهكذا لا تنقضي طرائف التاريخ التي لم يسجلها أحد من قبل على نحو ما نرويها هنا فها هو الرئيس أنور السادات في إطار استعداده لحرب أكتوبر ١٩٧٣ يدخل الحرب بشيخين كبيرين نشطين أو بعمامتين كبيرتين فاعلتين هما الدكتور عبد الحليم محمود في منصب شيخ الأزهر ، والشيخ عبد العزيز عيسى عضوا في مجلس الوزراء ، في منصب وزير شؤون الأزهر بينما عاد الوزير (الإخواني) المخضرم عبد العزيز كامل وقد أصبح (الآن) من الوزراء القدامى ليتولى الأوقاف فحسب،

لكنه يمثل قناة اتصال يريدها الرئيس أنور السادات مع دول وهيئات لم يحن الأمر لنتحدث عنها في سياق الاستطراد. وهكذا أصبحت واجهة الدولة بعمامتين دخلتا الوزارة لا عمامة واحدة ، وهكذا أصبح الرئيس أنور السادات بهذين الشيخين الجليلين قادراً على مخاطبة المجتمع المصري ، بل والمجتمع العالمي كله ، بالطابع الذي كان يعتقده هو نفسه كطابع محدد للحرب المجيدة التي قادها وانتصر فيها في ١٩٧٣ ، والذي لم يكتب له حتى اغتياله أن يصرح به بوضوح كاف ، لكن الذين يحللون النصوص ويدرسون الأفعال يستطيعون أن يفهموا الرسالة والرسائل.

هذان الشيخان زميلا دفعة للشيخ الباقوري

مع هذين الشيخين كان هناك شيخ أكثر لمعانا و حضورا و كان حتى ذلك الوقت لا يزال أكثر نشاطا منهما وأكثر حضوراً وأعمق تاريخاً وكان لا يزال موجوداً في قمة الحياة العامة من خلال مناصب الصدارة في الدولة الشمولية في ذلك الوقت من قبيل عضوية اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ، ومن خلال مواقع متعددة في مؤسسات المجتمع المدني والتعليمي والشبان المسلمين وهو الشيخ أحمد حسن الباقوري (١٩٠٧- ١٩٨٥) ، ربما تعتري القارئ الدهشة إذا علم أن الشيخ الباقوري تخرج أيضا مع الدكتور عبد الحليم محمود في الدفعة التي كان أولها هو الشيخ عبد العزيز عيسى (١٩٠٨ - ١٩٩٤).

الزملاء الثلاثة المجتهدون

لا شك في أن هؤلاء الشيوخ الثلاثة عباقرة بالمعني السيكولوجي و التحصيلي للعبقرية ، ولا شك في أن نظام التعليم المصري ونظام التعليم الأزهري كان نظاماً عبقريا إذ يسمح بتخرج هؤلاء الثلاثة في دفعة واحدة و منهم من هو مقيد على أنه مولود في ١٩٠٧ (ذلك أن الشيخ الباقوري روى أنه لم يولد الا في ١٩٠٩ لكن أهله أعطوه شهادة ميلاد أخ له ولد قبله بعامين وتوفي) ومن هو مولود في ١٩٠٨ ومن هو مولود في ١٩١٠ ، كيف حدث هذا؟ نعرف أن أهل الصعيد في ذلك العهد والعهد التالي له كانوا يتخرجون متأخرين بعض الشيء عن أقرانهم في الوجه البحري لأن فرص التعليم الأزهري في الوجه البحري كانت أكثر منها في الوجه القبلي وأقرب

منالاً بحيث لا يضطر الطالب إلى التأخر في البداية إلى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة بدلاً من الثانية عشرة التي هي الحد الأدنى للبدء في دراسة القسم العام بما يعني أن التخرج بالشهادة العالية من الأزهر في ذلك الجيل كان يتم بعد الرابعة والعشرين من عمر الخريج . وفي حالة الدكتور عبد الحليم محمود فقد كان ما هو مطلوب منه شبيها بهذا في ذلك الوقت ، لكنه تخرج مبكرا جدا عن أقرانه في السن ، ولنذكر على سبيل المثال أن خلفه في وكالة الازهر والمشيخة وهو الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار المولود مثله في١٩١٠ قد تخرج في ١٩٣٩ أي بعده بسبع سنوات.

فضل الشيخ إبراهيم الجبالي

كان الدكتور عبد الحليم محمود محظوظا بوجود الشيخ إبراهيم الجبالي ١٨٧٨-١٩٥٠ (العميد الثاني لكلية اللغة العربية) في موقع شيخ معهد الزقازيق الديني عندما درس الدكتور عبد الحليم محمود في ذلك المعهد الجديد يومها ، كان إبراهيم الجبالي (الذي خصصنا له فصلا كاملا من كتابنا الأزهر الشريف والإصلاح الاجتماعي والمجتمعي الذي صدر في ٢٠١٤) مناظراً للشيخ المراغي والمشايخ الستة الأزهريين الذين تولوا المشيخة الكبرى ما بين ١٩٢٨ و ١٩٥٤ ، ولم يكن يقل عن هؤلاء السبعة نفوذاً بل إنه بمنطق السياسة و الحزبية كان يتميز عليهم بوفديته الصريحة وبمسئوليته الوطنية عن التعليم الديني في مصر بتكليف من الزعيمين سعد زغلول باشا ومصطفى النحاس باشا ، وقد كان هذا الشيخ والزعيم هو الذي شجع الدكتور عبد الحليم محمود على الاستفادة من نظام أزهري كان يسمح للنوابغ أو من يُحسون في نفوسهم النبوغ بالتقدم لامتحان الثانوية الأزهرية من الخارج. وهكذا فإن الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود تقدم لامتحان الثانوية في ١٩٢٨ بعد سنة أو سنتين من دراسته في المرحلة الثانوية ، وهكذا فإنه اختصر ثلاث سنوات أو أربع سنوات من مسيرة أي زميل له لم يكن يقل عنه ذكاء ولا حفظا ولا حيازة لثقة أساتذته. ولولا هذه الخطوة لتخرج الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود إلى ما بعد ١٩٣٥ وليس في ١٩٣٢، ولدخل في نظام الكليات الأزهرية وليس العالمية القديمة. كيف وجد الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود الجرأة في نفسه ليتقدم لهذا الامتحان قبل موعده، السبب

طريف وهو أنه كان بدأ دراسته الأزهرية في الأزهر نفسه في القاهرة وحضر على كبار شيوخه وعلمائه طيلة عامين فلما افتتح معهد الزقازيق انتقل إليه وبزغ نجمه فيه فحصل على الثانوية الأزهرية في ١٩٢٨ وعاد ليدرس دراسة القسم العالي (أي الجامعي) في القاهرة ، ونال الشهادة العالمية من الأزهر سنة ١٩٣٢.

فضل والده عليه

ولد الدكتور عبد الحليم محمود في قرية دار السلام بمحافظة الشرقية (١٩١٠)، وقد كان منذ صباه منصرفا بطبعه إلى العلم والفقه، حتى إنه التحق بمعهد مسائي للمعلمين ، في الوقت الذي كان يدرس فيه في الأزهر ، لكنه آثر الأزهر والاستمرار فيه ، وقد ساعده والده الذي كان قد تلقى تعليما في الأزهر بالزواج المبكر ، وفى العام نفسه سافر الى فرنسا على نفقة والده الخاصة ، وقد كان لهذا الوالد فضل كبير جدا على ابنه ، يذكرنا بفضل والدنا رحمه الله علينا ، و هو فضل سابغ يفوق فضل ذلك الوالد العظيم على ابنه الإمام الأكبر.

التأسي بمحمد عبده و السوربون والثقافة

أخذ الشيخ عبد الحليم محمود في الدراسة في جامعة السوريون وهو في الثانية والعشرين من عمره قريبا من الشبان الذين كانوا يدرسون فيها ، وصغيرا عن طلاب البعثات ، و فيما يبدو لي من قراءة النصوص و الروايات فقد كان مقتنعا تمام الاقتناع بنموذج الشيخ محمد عبده ، وبأنه لا بد له من أن يؤهل نفسه بما أهل الشيخ محمد عبده نفسه به ، ولهذا فقد تعلم الفرنسية ، ولهذا فقد حرص على الدراسة بالسوربون، وإذا بحثنا عن أستاذه المباشر من أساتذة الأزهر الذين درسوا في السوربون فإننا لا تجد علاقة تلمذة مباشرة بينه وبين الشيخ مصطفى عبد الرازق، فقد كان الشيخ مصطفى بعيداً عن معاهد الأزهر حين كان الشيخ عبد الحليم محمود طالباً لكنه مع هذا لم يعدم الاتصال به وبآثاره الفكرية لأنه كان على علاقة جيدة بالمجتمع الثقافي، وكان يكتب في المجلات الثقافية، بل إنه تولى ترجمة كتاب من الكتب التي نشرتها دار الكتاب المصري التي كان تملكها أسرة هراري ، كما كان على علاقة جيدة بالدكتور طه حسين وفي كتابنا ثلاثية التاريخ والسياسة والأدب إشارة إلى هذا كله.

هراري عرضوا عليه رئاسة تحرير «الكاتب المصرى»

لكن الجديد في هذه الجزئية أن الدكتور منيع عبد الحليم محمود روى للأستاذة سناء البيسي أن والده حين عاد في عام ١٩٤١ بعد نيله الدكتوراه، التقى في الباخرة بالأخوة هيرارى الذين عرضوا عليه رئاسة تحرير مجلة «الكاتب المصرى»، لكنه رفض لعدم توافق اتجاهاته معها، وفيما بعد فقد قبل الدكتور طه حسين هذا العرض ، وكان الدكتور عبد الحليم محمود ممن نشروا في هذه المؤسسة كما أشرنا .

دراسته في فرنسا و تخصصه

في فرنسا درس الدكتور عبد الحليم محمود أربعة تخصصات تبعا للنظام الفرنسي في تكوين خريج درجة الليسانس في الآداب ، فدرس الفلسفة ، و علم النفس، وعلم الاجتماع ، وتاريخ الاديان ومقارنتها ، وحصل في كل مادة من هذه المواد على شهادة عليا من الجامعة، وبهذا استكمل دراسة الدبلومات الأربعة اللازمة للحصول على الليسانس حسب النظام الفرنسي ، ثم درس الدكتوراة في التصوف الإسلامي وتقدم برسالة بعنوان (أستاذ السائرين : المحاسبي) ونال عنها درجة الامتياز أو مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤٠، و قد ناقش هذه الرسالة في ٨ يونيو ١٩٤٠

الدكتور البيومي يشبهه بالغزالي في دراسته للفلسفة

لخص أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي وصف حيرة الشيخ في دراسته للفلسفة قبل ان يستقر على ان يكون تخصصه في التصوف فشبه مساره مع العلم والفلسفة بمسار الامام الغزالي و قدم مبرراته في هذا التشبيه ثم قال : " ومن هنا كان التصميم التامّ أقوى دعائمه الإصلاحية، وكان النجاح المثمر نتيجة هذا التصميم، لأنه تصميم الموقن الجازم، تصميم المتصوّف، الذي اعتقد أن عمره في هذه الحياة مرحلة محدودة، تُعدّ ابتداء لمرحلة مقبلة غير محدودة، حين يقرأ كتابه عند ربّه، فيجد سجلّه الواعي الدقيق، لا يغادر من كبيرة ولا صغيرة إلّا احصاها! هذا الإيمان الجازم الموقن، هو مفتاح شخصية "عبد الحليم". و يستشهد أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي ١٩٢٣- ٢٠١١ على صحة رأيه بما ينقله عن الدكتور عبد الحليم

محمود : « ... انتهيت من دراسة الدكتوراه، وأنا اشعر شعوراً واضحاً بمنهج المسلم في الحياة، .. أخذت أدعو إليه كاتباً ومُحاضراً، ومُدرساً، ثم أخرجت فيه كتاب (التوحيد الخالص) وما فرحت بظهور كتاب من كتبي، مثل فرحي يوم ظهر هذا الكتاب، لأنه خلاصة تجربتي في الحياة الفكرية".

كان التصوف منقذا للإمامين

ونعود الى الدكتور البيومي حيث يقول : "لقد كان التصوف منقذ الإمامين معاً، (يقصد الإمام الغزالي و الشيخ عبد الحليم) وهو تصوّف عاقل فعّال، لم يكن هروبا من الحياة، بل كان علاجاً لمعضلاتها، لقد كان عبد الحليم محمود لا يفارق الناس إلا عند نومه، ولكنه يزور ويرحل ويجتمع ويناقش، ويدفع إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. والفرق بينه وبين سواه من النظريين، أنه يصدر عن يقين، وينفعل عن عقيدة، وينصح عن إدراك، وقد فهم رسالة المسلم في الحياة، فهم أنه خليفة في الأرض" .

تعمقه لتجربة المفكرين الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام

يمثل هذا الجانب ركنا مهما في تجربة الدكتور عبد الحليم محمود الفكرية ، وقد أعددنا له دراسة في موضع آخر لكننا لابد أن نشير بسرعة إلى صداقته بكثيرين من هؤلاء ومنهم الفيلسوف عبد الواحد يحي ١٨٦٦- ١٩٥١، وأن نشير ترجمته لسيرة النبي عليه الصلاة والسلام التي كتبها الأديب والفنان الفرنسي إيتين دينيه ١٨٦١- ١٩٢٩ بالاشتراك مع صديقه الجزائري سليمان بن إبراهيم ١٨٧٠- ١٩٥٣، وقد اشترك الدكتور محمد عبد الحليم محمود مع والده في ترجمة هذه السيرة التي أصدرها الفنان الفرنسي مكتوبة و مزودة بالرسوم ، و قد أشرنا في كتبنا عن باريس إلى انطباعات الدكتور عبد الحليم محمود عن المجتمعات التي صادفها .

عودته لمصر وعمله في كلية اللغة العربية

عاد الدكتور عبد الحليم محمود لمصر في ١٩٤١ ، وعين مدرساً لعلم النفس بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ولسنا ندري على سبيل التحديد من كان صاحب

الفضل في هذا التسكين الذكي ، لكن هذا تم في عهد صعود مكانة الازهر على يد شيخه الأكبر الشيخ المراغي ١٨٨١- ١٩٤٥ ، و قد كان الشيخ ابراهيم حمروش ١٨٨٠- ١٩٦٠ هو عميد (شيخ) كلية اللغة العربية ، وكانت كلية أصول الدين تضم من حصلوا على درجة الدكتوراه في الفلسفة من قبيل الدكتور محمد البهي ١٩٠٥- ١٩٨٢ .

الإنجاز الازهري في عمله مدرسا لعلم النفس

في ميدان الدراسات الفلسفية كان الدكتور عبد الحليم محمود من أوائل الذين تخصصوا في تدريس علم النفس في الجامعات المصرية ، و كان هذا بمثابة تفوق بارز للجامعة الأزهرية في تعليم الدراسات الفلسفية التي لم تكن قد عرفت حتى ذلك الحين التفريق بين مدرس الفلسفة ومدرس علم النفس.

تدريس علم النفس فيما قبله كان مرتبطا بالتربية لا بالفلسفة

و من الجدير بالذكر في هذا المقام أن دراسات علم النفس و المسئولية عنه في التعليم المصري منذ عهد الاحتلال كانت مرتبطة ببعثات دار العلوم الى الجامعات البريطانية، وهي بعثات كانت تستهدف التربية وعلم النفس معاً أي أن علم النفس كان مرتبطا بالتربية والوظائف التربوية، لا بالفلسفة والمنطق و الاجتماع ، ومع أن علم النفس بحكم التقسيم المعرفي مرتبط بالفلسفة فإن دارسي الفلسفة كانوا يفضلون بالطبع أن يكونوا أساتذة في العام لا الخاص، وهكذا كان الأزهر سابقاً بعبد الحليم محمود على بعض الجامعات المصرية.

وبالطبع فإن مثل هذا التاريخ لم يكن يثير انتباه أصحابه وهو يُصنع، لكن الأزهريين بحكم حبهم للعلم وممارستهم لتفريعاته كانوا من الذكاء بحيث أدركوا أهمية وجود مثل هذه "النافذة" لدراسة فلسفية بعيدة عن الجدل والجدل المضاد حول دراسة الفلسفة ومدى مشروعية دراستها في الأزهر الشريف، وهو جدل يستند بالطبع إلى قصر رؤية ، لكنه بالطبع و في الواقع يبدو جذابا تماما لمن يتبناه ويصطنع به مشكلة جدلية، بل وأصولية ، بل وإيمانية أيضا.

ظهور روح الثورة الأزهرية في كتابته

على نحو ما كان الشيخ محمد الأحمدي الظواهري ثائراً في شبابه وأصدر كتابا ينتقد فيه الأزهر وعلى نحو ما كان الشيخ الباقوري وهو طاب في معهد أسيوط (١٩٢٦) قد أسس جمعية أسماها جمعية إصلاح فساد الجامعة الأزهرية فإن الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود فعل فعلاً مشابها وغير مشهور حيث كتب مذكرة في ١٩٤٥ جعل عنوانها "الأزهر في دور الاحتضار" . واجتمع مجلس الأزهر الأعلى في ٢٨ يناير ١٩٤٥ (أي في عهد الشيخ المراغي نفسه) وعُرض عليه موضوع المذكرة فتقرر إحالة المذكرة وإحالة صاحبها للتحقيق، ورأس لجنة التحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن مدير الأزهر والمعاهد الدينية (وكيل الأزهر فيما بعد ، وقد خصصنا للحديث عنه فصلا في كتابنا : العصر الذهبي للقضاء الشرعي) والأستاذ محمد الشافعي اللبان بك مدير قسم القضايا بوزارة الأوقاف والأستاذ سعد الله هاشم مفتش العلوم بالمعاهد الدينية، وانعقدت جلسة التحقيق في ٣ مارس ١٩٤٥ لكنها لم تؤذ الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود بأية عقوبة وإنما حفظت التحقيق كله.

تدرجه الوظيفي

و بعد عشر سنوات من عودته من فرنسا وعمله في كلية اللغة العربية نقل الدكتور عبد الحليم محمود الى كلية أصول الدين (مع انتقال التخصص) .

مكانته في كلية اصول الدين

في مارس ١٩٥١ في عهد الشيخ عبد المجيد سليم سُكن الأساتذة الازهريون في وظائف الكادر الجامعي ، فكان ترتيب الدكتور عبد الحليم محمود في الترتيب السادس بين هيئة تدريس الكلية وهو ترتيب متقدم جدا بالنسبة لسنه وتخرجه ، لكنه ترتيب يتوازى و ربما أقل مما كان قد حققه بحصوله على الدكتوراه من فرنسا قبل أن يحصل عليها السابقون من الأساتذة الذين لم يبدأوا بعثتهم الا في ١٩٣٦ وبالتالي فانهم لم يتموا دراستهم الا بعده بينما كان هو بروح المغامرة كان قد سافر على نفقته وبقي في ظروف قاسية الى ان تم ضمه بعد سنوات الى البعثة ، وقد سكن في

الترتيب الرابع بين الاساتذة (ب) الذين كانوا هم عبد العزيز حطاب ومحمد الشافعي الظواهري (العميد السادس للكلية) والدكتور محمود حب الله ١٩٠٣- ١٩٧٤ (العميد الثامن للكلية) والدكتور عبد الحليم محمود (العميد العاشر للكلية) وعبد القادر خليف . وكان هؤلاء تالين لاثنين من الأساتذة (أ) وهما محمد حبيب والدكتور محمد ماضي. ونحن نلاحظ ان ترتيبه الأكاديمي و الوظيفي كان سابقا على أعلام كبار متميزين ذوي نفوذ وحضور من طبقة الدكتور محمد يوسف موسي ١٨٩٩- ١٩٦٣ والدكتور محمد غلاب ١٨٩٩- ١٩٧٠

كمون مكانته في العهد الناصري

لم يكن الفارق في تاريخ التأهيل العلمي بين الدكتور محمد البهي ١٩٠٥- ١٩٨٢ و الدكتور عبد الحليم محمود ١٩١٠-١٩٧٨ كبيرا ، فقد أتم الأول دراسته للدكتوراه في ١٩٣٦ وأتم الثاني دراسته للدكتوراه في ١٩٤٠ ومع أن الدكتور البهي تولى منصب مدير الجامعة الذي لم يتوله الدكتور عبد الحليم محمود ، وسبقه إلى منصب الوزير بتسع سنوات وشهور ، فإن وصول الدكتور عبد الحليم محمود إلى المواقع العلمية والسياسية العليا التي وصل إليها كان أكثر قوة ونفوذا وبقاء لسبب واحد هو أنه رزق الحظ في أن يصعد مع العصر المناصر للإسلام والأزهر ، وليس العصر المعادي لهما، ولهذا فقد تضاءل أثر الدكتور محمد البهي مع الزمن حتى كاد ينمحي بينما انتعش دور عبد الحليم محمود ولا يزال ينتعش وينمو حتى وقتنا هذا، بسبب الحرية في المقام الأول و بسبب آخر بيولوجي الطابع هو أنه هو وعصره والرئيس السادات رئيس الدولة في ذلك العصر كانوا يؤمنون بالخصوبة العلمية ولا يحاربانها بل كانا يساعدانها بكل ما يملكان من تأثير ونفوذ وذلك في مقابل اعلاء كل من الرئيس جمال عبد الناصر و الدكتور البهي لقيمة الضبط والربط العسكري و القيود على قيمة الخصوبة العلمية .

عمادته للكلية

بقى الدكتور عبد الحليم محمود في هيئة التدريس في أصول الدين حتى أصبح عميداً لها عام ١٩٦٤، فكان هو العميد العاشر لهذه الكلية خلفا للدكتور على حسن

عبد القادر ١٩٠٠-١٩٩٠ الذي انتقل من عمادتها لعمادة كلية الشريعة ، وبعدها بأربع سنوات عين الدكتور عبد الحليم محمود أميناً عاما لمجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٨ خلفا للدكتور محمود حب الله ١٩٠٣- ١٩٧٤، وخلفه في العمادة الأستاذ محمد الصادق عرجون (خصصنا له فصلا كاملا من كتابنا الأزهر الشريف والإصلاح الاجتماعي والمجتمعي الذي صدر في ٢٠١٤) ثم عين وكيلاً للأزهر ١٩٧٠ خلفا للدكتور محمد عبد الله ماضي ١٩٠٣ -١٩٨٧ .

دوره في مجمع البحوث الإسلامية و بدء تقنين الشريعة

يمكن القول بأن الشيخ عبد الحليم محمود هو المؤسس الثاني لمجمع البحوث الإسلامية الذي تأسس في ١٩٦١ مع تطوير الأزهر لكنه ظل في صورة هيئة أكاديمية من دون وضوح دقيق أو مفصل لصورة تكوين الجهاز المعاون لهيئة الأكاديمية، وقد استطاع عبد الحليم محمود أن يؤدي هذا الدور على نحو دقيق فبدأ في تكوين الجهاز الفني والإداري للمجمع من خيرة موظفي الأزهر، و عمل على جذب الكفايات العلمية التي تتلاءم مع رسالة المجمع العالمية و بدأ تزويد المجمع بمكتبة علمية ضخمة معتمدا في تكوينها على صداقاته وصلاته بكبار المؤلفين والباحثين . وفي عهده بدا عقد المؤتمر السنوي لمجمع البحوث الإسلامية، وتوالى انعقاده بانتظام، كما أقنع المسئولين بتخصيص قطعة أرض فسيحة بمدينة نصر لتضم المجمع وأجهزته العلمية والإدارية.

لجان تقنين الشريعة و مشروع دستور إسلامي

لعل أهم عمل قام به الدكتور عبد الحليم محمود عندما تولى أمانة مجمع البحوث الاسلامية كان هو تشكليه لجان تقنين الشريعة على المذاهب الأربعة توطئة لعمل تقنين وقد انتهت هذه اللجان من تقنين المعاملات والحدود لكل مذهب. ومن أهم الأعمال التي أقدم عليها عمله على وضع مشروع دستور إسلامي للحكم و قد كون لجنة لهذا الغرض من كبار العلماء ورجال القانون.

توليه الوزارة فالمشيخة

وفى عام ١٩٧٢ عين وزيراً للأوقاف في وزارة الدكتور عزيز صدقي ، و في مارس عام ١٩٧٣ عين شيخاً للأزهر، وليكون بهذا الشيخ السادس والخمسين بين مشايخ الأزهر ، وقد مدت خدمته في مشيخة الأزهر بعد بلوغه الخامسة والستين مرة بعد أخرى. وبتعيينه شيخا للأزهر بدأت مرحلة عمرية جديدة بعد أن ظل المنصب من ١٩٥٤ وحتى ١٩٧٣ في حوزة أربعة من العلماء ولدوا في ثلاث سنوات ١٨٩٣-١٨٩٦ ، ومن باب التلخيص فإننا نذكر المصفوفة الدالة :

	ولدوا في	ما بين عامي	تولوا	ما بين عامي
٧ مشايخ	٩ سنوات	١٨٧٦-١٨٨٥	٢٦ عاما	١٩٢٨-١٩٥٤
٤ مشايخ	٣ سنوات	١٨٩٣ -١٨٩٦	١٩ عاما	١٩٥٤-١٩٧٣
٣ مشايخ	٧ سنوات	١٩١٠-١٩١٧	٢٣ عاما	١٩٧٣-١٩٩٦

أصبح معنيا بالإرادة مع الإدارة

في دولة العلم والإيمان التي بشّر بها الرئيس أنور السادات أصبح هناك مكانان موازيان الدكتور عبد الحليم محمود فقد اصبح يضيف إلى ائتمانه على الإدارة ائتمانا من نوع آخر على الإرادة! وهذا هو الفارق الكبير الذي هيأه الله للدكتور عبد الحليم محمود حين انتقلت إليه قيادة الأزهر في ١٩٧٣ بعدما بقيت من ١٩٥٤ وحتى ١٩٧٣ في يد أربعة من الأعلام من الجيل السابق في مولده على الشيخ عبد الحليم محمود ، و الذين ولدوا في مدى ثلاثة أعوام متتالية ١٨٩٣ - ١٨٩٦ وهم بترتيب توليهم : المشايخ عبد الرحمن تاج (١٨٩٦ ـ ١٩٧٥) ومحمود شلتوت (١٨٩٣ ـ ١٩٦٣) وحسن مأمون (١٨٩٤ ـ ١٩٧٣) ومحمد الفحام (١٨٩٤ ـ ١٩٨٠). ومن الجدير بالذكر أن اثنين من هؤلاء الأربعة توفيا في عهد الشيخ عبد الحليم محمود.

التوجه الشعبي نحو إقرار تطبيق الشريعة

عندما تطورت الدعوة الى تطبيق الشريعة الإسلامية سارع الشيخ عبد الحليم محمود فألّف لجنة علمية لصياغة قوانين الشريعة، وفي مواد محددة لتسهّل مهمة التطبيق، و مراجعة ما كتب من المواد، ونشره في الصحف، ثم اتصل بأعضاء مجلس الشعب، ليجمع تكتّلاً إسلاميا ينادي بتطبيق الشريعة، وأخذ يتعجل التطبيق مُلِحاً على كل ذي رأي ، ويذكر التاريخ له أنه كتب رسائل مشهورة إلى كل من المهندس سيد مرعي رئيس مجلس الشعب، وممدوح سالم رئيس مجلس الوزراء يطالبهما بالإسراع في تطبيق الشريعة الإسلامية، ويقول لهما: "لقد آن الأوان لإرواء الأشواق الظامئة في القلوب إلى وضع شريعة الله بيننا في موضعها الصحيح ليبدلنا الله بعسرنا يسرا وبخوفنا أمنا...".

ملامح الدولة الشمولية التي حاربت عبد الحليم محمود

عاش الدكتور عبد الحليم محمود في الستينات عصرا تميز بوجود دولة شمولية قابضة ينكر جديدها سابقه كما يحدث حين ينكر الاتحاد الاشتراكي كل ماضي الاتحاد القومي، وحين ينكر كل وزير جديد كل ما سبقه من عمل أسلافه.. بينما كانت الطبيعة البشرية والطبيعة الأزهرية تقول بعكس هذا تماماً. في هذا الوسط ، وفي هذه المعركة بين التوجهين (و بين التوجيهين أيضا) كان الدكتور عبد الحليم محمود نفسه يمثل نموذجا بارزا للتكنوقراطي الملتزم الناجح المحبوب القادر على أن يحقق للنظام (أيا من كان رأس النظام) قبولا وتعاونا من الجماهير التي تخضع لإدارته (أي مهمته كمدير) وليس لإرادته (أي مهمته كأستاذ أو داعية أو مصلح أو مطور) .. ومن دون أن تكون في يدنا وثائق أو مراجع أو شهادات فلا شك عندنا في أن اسم الدكتور عبد الحليم محمود نفسه كان من الأسماء المتقدمة في انتخابات الوحدة الأساسية بالاتحاد الاشتراكي في كلية أصول الدين أو في جامعة الأزهر ومن دون أن تكون في يدنا وثائق أو مراجع او شهادات فمن المؤكد أن اسم الدكتور عبد الحليم محمود كان من الأسماء المرشحة ليكون في التنظيم الطليعي للاتحاد الاشتراكي العربي .

دلالة فكرة الدروس التعليمية في المساجد

بدأ الشيخ عبد الحليم محمود وهو وزير للأوقاف سياسة رائعة لم يكن أحد غيره يستطيع أن يهتدي إليها ولا أن يبدأها ولا أن ينظمها، وذلك أنه بمتابعته لأحوال التعليم في مصر وجد أن العجز في المدرسين الأكفاء قد سيطر على المدارس بحيث أصبحت الحاجة ملحة إلى وسائط أو أوعية تعليمية موازية تتخلص من العيوب القاتلة للدروس الخصوصية التي هي بطبيعتها عاجزة عن أن تقدم التعليم للجموع الكبيرة من الطلاب، وهكذا قرر الشيخ عبد الحليم محمود أن يفتح الجوامع والمساجد الكبرى لتدريس المقررات الدراسية في الشهادات العامة عقب صلاة العصر ، وأن يختار لهذا التدريس أكفأ المدرسين المتاحين في التربية والتعليم مقابل مكافأة رمزية.. كنا من الذين حضروا هذه الدروس العامة التي كانت تلقى في المساجد ويحضرها ما لا يقل عن ٩٩% من طلاب المدارس، لأنهم يجدون فيها أستاذاً متميزاً غير متاح للجميع في المدرسة (إذ أنه بحكم جدول الحصص يدرس لفصل واحد أو يشغل منصب الناظر أو الوكيل او الموجه فيترك التدريس) هذا فضلاً عن رحابة جو المسجد وروحانيته، ولم يكن الأمر يكلف وزارة الأوقاف أكثر من سبورة ومكافأة للمدرسين المنتدبين، وهي جنيهات معدودة لا تكاد تذكر ، مع مكافأة أيضا لعامل المسجد بمكافأة لا تتعدى جنيهات قليلة.

صورة من الذكاء التربوي والسياسي

كان هذا الأسلوب البديع الذكي الحاسم المحترف آية من آيات الذكاء التربوي والسياسي ، وسواء كانت الفكرة فيه للشيخ عبد الحليم محمود نفسه أم لغيره فإنها قد انتعشت على يديه وعلى يد خلفائه الاذكياء ، وان كانت الدولة العميقة قد نجحت فيما بعد في تجميدها بالتدريج و التبريد. ومع هذا فإن أثر هذه الفكرة لا يكاد يذكر في الدراسات الاجتماعية التي ينبغي أن تدرس درجات وطبائع الضوء الأخضر الذي أعطاه الرئيس السادات للبحث في كل الوسائل الكفيلة بعودة المسجد إلى الحياة ، وعودة الحياة إلى المسجد ، وعودة المسجد إلى العلم ، وعودة العلم إلى المسجد ، وعودة التعليم إلى المسجد، وعودة التعليم إلى المسجد..

وعيه بالدور التاريخي لأوقاف الأزهر واحتضان أجدادنا للعلم

كان الدكتور عبد الحليم محمود واعيا كل الوعي للدور الذي أناطه أجدادنا وأسلافنا بالأزهر حين وقفوا عليه كثيرا من أراضيهم، حتى أصبحت الأوقاف المخصصة للأزهر تمثل ٢٠٪ من أراضي مصر الزراعية ، ولولا هذه الأوقاف لاجتاح مصر كلها الجهل منذ دخلها الاحتلال البريطاني في ١٨٨٢ حيث كانت سياسة كرومر المعلنة هي عدم السماح بالتعليم على أي مستوى ولم يكن الوعي السياسي يسمح بإدراك خطورة سياسة كرومر المعلنة رغم أنه هو نفسه جاهر بدوافع العداء فيها.. وهنا أكرم الله مصر بالرصيد الاستراتيجي الضخم المتمثل في الأزهر الذي كان قد قدم الموارد البشرية لمحمد علي وجيشه ومدارسه العسكرية والمهنية (الطب والهندسة والصناع) ، وهكذا قدم الأزهر أيضا الموارد البشرية للمدارس المحدودة التي استطاعت الدولة أن تنشئها في ظل سطوة كرومر الممانعة لنشر التعليم و مجانية التعليم و المحاربة للتعليم العام ، ومن باب أولى الممانعة للتعليم الجامعي، وهكذا فإن مدارس مثل دار العلوم العليا والإدارة والألسن اعتمدت كل الاعتماد على روافد التعليم الأزهري الذي استطاع الحفاظ على وجوده وحياته بفضل الأوقاف التي وقفها أجدادنا وأساتذتنا على الأزهر والتعليم فيه. كان الدكتور عبد الحليم محمود قادراً على إدراك جوهر الحقيقة في هذه الجزئية بفضل نورانيته أولا وبفضل عبقريته ثانيا وبفضل تعلمه في فرنسا وانفتاحه على نظام التعليم هناك ، وهي الدولة التي تتيح العلم وتبيحه على أوسع نطاق بعيداً عن الشكليات والبيروقراطية والقيود الطبقية والأيدولوجية.

استرداد ٧٠ ألف فدان من أراضي أوقاف الأزهر

يعود الفضل للشيخ عبد الحليم محمود إذاً في استرداد ٧٠ ألف فدان من أراضي أوقاف الأزهر الذى كان يمتلك يوما خُمس الأراضي الزراعية مصر، أي ٢٠% منها، وكان الشيخ يردد القول بأن المساس بأراضي الأوقاف حرام في حرام، لدرجة أنه كان يضرب مثلا بعصفورة تقول لصاحبتها إنها من الممكن أن تخرب بيت القرية

المجاورة، وذلك بأن تحمل إليها بمنقارها بعضا من تراب الأرض المغتصبة من الأزهر فتغدو بالمثل أرضا حراما

معرفة العلماء واهتماماتهم الدقيقة

كان الدكتور عبد الحليم محمود يتمتع بسمة رفيعة من أعلى خصائص الأستاذية وهي قدرته الفائقة على معرفة الترابط بين التخصصات الدقيقة من العلوم التي تتصل أستاذيته بها وقدرته على معرفة أولى بالعلم بالجزئيات المختلفة من هذه العلوم، ولا تكاد تجد واحداً من تلاميذ الدكتور عبد الحليم محمود إلا وقد ربطه هذا الأستاذ الجليل بأستاذ آخر من زملائه هو، فهو الذي دل تلاميذه على صديقه الحميم المحدث الشيخ الحافظ التجاني ١٨٩٧- ١٩٧٨، وهو الذي دلهم على الدكتور محمود قاسم عميد دار العلوم الأشهر ١٩١٣-١٩٧٣ وكان صديقا له، وعلى الدكتور إبراهيم مدكور ١٩٠٢-١٩٩٥ وعلى الشيخ عبد الواحد يحيى ١٨٨٦-١٩٥١.. وهكذا . وكان الدكتور عبد الحليم محمود حين يفعل هذا يفتح لتلاميذه آفاق المعرفة الأكاديمية والعلمية على نحو لم يكن لهم أن يهتدوا إليه الا بعد سنوات، فلم يكن منطق شبكات المعلومات والتشابك العلمي قد تطور في ذلك العصر إلى أية درجة من الدرجات الكفيلة بتقديم ما كان يقدمه هو بعقليته الواعية الحافظة المنتبهة.

ذكريات لقاء مباشر مع الشيخ

في مطلع ١٩٧٨ وبينما كنا نتم بحثنا أو كتابنا عن الدكتور محمد كامل حسين ١٩٠١-١٩٧٧ وجدت إشارة إلى مقالات له في مجلة الزهراء التي يصدرها معهد الدراسات الإسلامية، كنت أعرف الطريق إلى المعهد في مواجهة نادي الزمالك وبحذاء نادي الترسانة الرياضي، وكانت العافية تدفعني إلى الطيران لا المشي فحسب ، فذهبت لهذا المعهد فإذا بي أفاجأ بمفاجأة لم تكن تخطر على بالي إذ وجدت محاضرتين متتالين للشيخين أحمد حسن الباقوري وهو مدير هذا المعهد ومؤسسه والدكتور عبد الحليم محمود وهو شيخ الأزهر يومذاك حضرت هذه المحاضرة وتلك، وأخبرت الشيخين كلا على حدة أني أنجز بحثا كبيرا أو كتابا عن الدكتور محمد كامل حسين فما كان من الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود بكل مهابته

ونورانيته إلا أن رفع هامته برشاقة السعادة ، ثم عاد بظهره للوراء وهو واقف ليكرر اسم محمد كامل حسين ويقول: يا سلام ! وهو يتنهد تنهيدة الإعجاب التي لا يصدرها الإنسان إلا في اللحظات القصوى من التعبير عن الانطباع الحسن عن الذكر الحسن ثم أردف إن الذي يُعد مثل هذا البحث أو يكتب مثل هذه السيرة لا بد من أن يكون في مستقبله فيلسوفا وطبيبا وأديبا ورجلا صالحا، فلما أنهيت إليه أني طالب في كلية الطب، وأني الطالب المثالي لجامعة القاهرة بدا أنه يتذكرني من لقاء سابق ، وأومأ بأنه كان يريد أن يقول هذا أو أن يتذكره ، وأشار بأصبعه التي لا أحب أن اسميها باسمها الشائع ولكني اسميها بالأصبع المسبحة.. ومد يده ليربت على كتفي.

أفقت في هذا اللقاء على حقيقة مهمة وهي أنني أصبحت بفضل وفعل لمحة هذا الشيخ الأكبر أمام واجب ، وليس أمام مجد أبحث عنه فحسب!

اهتمامه بخصوبة الدراسات العليا

كان الدكتور عبد الحليم محمود منتبها بكل ما يمكنه من قوة إلى ضرورة إتاحة الفرصة للأزهريين في الحياة الأكاديمية والجامعية ولهذا فإنه [و قد شهد بعيني رأسه بل بكل جوارحه مدى ما وصل اليه تعسف الدكتور محمد البهي بحسن نيته وتعنته معا] كان حريصا على اللجوء الى ما هو أكثر من سماحة الشيخ الباقوري وتفتحه ولذلك فإن عهد الحرص على اتاحة التأهيل العلمي الواسع بشهادات الدكتوراه في الأزهر لم يبدأ في الحقيقة إلا على يد الدكتور عبد الحليم محمود.

طبيعة الخطوة التي أضاف بها إلى إنجاز الباقوري

وباختصار شديد فإن الدكتور البهي كان بجمعه بين التزمت الشخصي والتزمت الأزهري والتزمت الألماني كفيلا بوقف نمو الجامعة الأزهرية أما الشيخ أحمد حسن الباقوري بحكم تفوقه العلمي ومعرفته بالمتفوقين من جيله وتلاميذه وبالمجتمع من حوله فقد كان قادراً على أن يسد الثغرات، ويستكمل الهياكل ويشغل المواقع ويعطي كل ذي حق حقه، وأن يسترضي العلماء ويستبقيهم و يزيل ما يكدر وجودهم أو عملهم ، وأن يشجعهم .

والشاهد أن الدكتور عبد الحليم محمود أضاف إلى إنجاز الشيخ الباقوري في جامعة الأزهر إنجازاً آخر أهم للجامعة وهو إنجاز الخصوبة، وهكذا فإنه انتبه بسرعة إلى السماح بمن حالت ظروفهم وبين إتمامهم لرسائلهم الجامعية في الوقت المحدد بأن يستكملوا رسائلهم، وبالطبع فقد كان معظم هؤلاء مطاردين ومنفيين ومضطهدين ولم يكونوا مهملين ولا عابثين، و يكفي أن أذكر من أسماء هؤلاء اسم الدكتور يوسف القرضاوي الذي لولا التعديلات القانونية التي بدأها الدكتور عبد الحليم محمود ووضعها وقننها ونفذها لكان تسجيله للدكتوراه قد انتهى إلى الإلغاء لا إلى المناقشة والحصول على الدرجة. ولا ننس ان هؤلاء العلماء الجادين الذين كانوا قد بدأوا خطواتهم في أي طريق من الطرق التي يمارسون من خلالها البحث العلمي (في ذلك الزمان المجفف للعلم والبحث العلمي) كانوا كذلك يعانون اشد المعاناة في توفير نفقات البحث العلمي التي كانوا يقتطعونها بالكاد من طعامهم .

توافق رؤيته مع رؤية الرئيس

كان هذا الجانب النوراني (ولا نقول المستنير فحسب) من تفكير الدكتور عبد الحليم محمود يتسق تماماً مع روح عصر الرئيس أنور السادات ومع منطق الرئيس أنور السادات نفسه وفكره ، وهو الذي كان حريصا تماماً على جوهر الخصوبة لتعويض ما اعترى المجتمع من العقم ، فضلا عن حرصهما على إعطاء كل فرصة ممكنة لكل مجتهد، ومن الملاحظ أن الرجلين الدكتور عبد الحليم محمود و الرئيس أنور السادات قد حظيا في بداية حياتهما بالحصول على فرص كثيرة للنجاح واسترجاع الحق أهلتهما للصفاء النفسي القادر على خلق وتشجيع روح هذه الخصوية المجتمعية التي أصبحنا نجني ثمارها منذ عهد هذين الرجلين بصفة دائبة ، ولا نكاد نتصور المجتمع العلمي المصري يعيش من غيرها.

رجل المجتمعات

كان الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود مع هذا كله رجل مجتمعات، كان مجاملا إلى أقصى حد، حتى انه كان يحضر بعض حفلات عقد القرآن ويتولى عقد القران بنفسه ، وكان ينتهز هذه المناسبات لتصحيح المفاهيم و الآراء و لإنجاز كثير مما

يحتاجه في الأزهر ، ولا شك في أن بعض تبرعات الأهالي لبناء المعاهد الأزهرية وتأسيسها تمت من خلال هذه المجتمعات التي كان المصريون يحرصون من خلالها على أن يذكروا صداقتهم بالشيخ الأكبر ولقاءهم بالشيخ الأكبر وهكذا.

لم يغرق مرة واحدة، بل ظل عائما دائماً

وكان الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود يلبي أيضا الدعوات إلى اللقاءات الثقافية والندوات والمحاضرات الجامعية ويفعل هذا باقتصاد شديد فلا يكاد يزيد وجوده في مجتمع من المجتمعات مهما كان شأنه عن ساعة، فقد كانت دراسته للفلسفة ومستوياتها قد علمته تحديد المستويات والنجاة من الاستغراق الذي كان كفيلا بإغراقه ، لكنه بلغة الوصف الفيزيقي لم يغرق أبداً ، لم يغرق مرة واحدة.. بل ظل عائما دائماً.

اهتمامه بالمرافق الأكاديمية للأزهر

كان الدكتور عبد الحليم محمود واعيا كل الوعي لتوجيه كثير من الاهتمام إلى المرافق الأكاديمية الكبرى من قبيل مكتبة الأزهر، وقد بدأ سياسات ناجحة وواعدة ومثمرة أتيح لها أن تستكمل على يد مَنْ نصفه بأنه المؤسس الثاني لجامعة الازهر وهو الدكتور محمد السعدي فرهود ١٩٢٣ - ٢٠٠١ الذي كان يقوم بمثل هذه المهام الحضارية بذكاء وانضباط ودأب حتى أصبحت للجامعة الأزهرية مقومات واضحة وقوية لا تقل عن أي جامعة معاصرة. وفي هذا الاطار أيضا فان الدكتور عبد الحليم محمود على سبيل المثال عني مبكرا ، ونجح في تخصيص قطعة أرض مجاورة للأزهر لتقام عليها مكتبة الأزهر الكبرى.

انتعاش فكرة كلية اللغات والترجمة

كان الدكتور عبد الحليم محمود بالطبع واعيا لمواصلة النجاح الذي تحقق من قبل في كلية اللغات والترجمة وتوسيع أقسامها، وقدراتها ومن المذهل أن يعرف القارئ أن معظم الذين أسسوا الأقسام اللغوية الجديدة في كلية آداب القاهرة وكليات الآداب في الجامعات المصرية كانوا من مبعوثي وخريجي كلية اللغات والترجمة في جامعة

الأزهر، وليس هذا سراً، بل هو أمر مشهور، والأزهر بحكم أبوته معطاء لا يمنع الخير عن الجامعة المصرية نفسها التي هي أيضا ابنة من كبريات بناته.

خروجه بنمط التأهيل من العقلية الإنجليزية إلى الفرنسية

كان الدكتور عبد الحليم محمود على عادة ما تقول به عقلية الفرنسيين من تلبية التعطش للحرية او للعشوائية قادراً على أن يعرف أن التقسيم المتميز للأزهر إلى كلياته الثلاث تقسيم عبقري لا شك في عبقريته.. لكنه كان يعرف أن حاجة المجتمع إلى الأزهر تتجاوز هذه المنطقية "الإنجليزية" إلى نظام لا يمانع في قدر مما يصفه الملتزمون على انه نوع من أنواع الفوضوية والعشوائية ، حتى إن لم يؤمن بهما، لكنه يعرف أنهما مذهبان مسيطران على الحياة العامة، وهكذا فهم الدكتور عبد الحليم محمود مبكراً كما فهم الشيخ الباقوري من قبله أن الأزهر في حاجة ملحة وعملية إلى عودة نوع من الدراسة العامة القديمة التي درس كلاهما على غرارها قبل نشأة نظام الكليات، وهي دراسة تقدم تعليما أزهريا ليس ذا طابع محدد كطابع خريجي الشريعة أو الأصول أو اللغة العربية وانما هو أزهري عمومي.. وهكذا تطورت فكرة كلية الدراسات العربية الإسلامية التي بدأها الشيخ الباقوري من خلال دراسة موازية في الأزهر نفسه ومن خلال معهد الدراسات الإسلامية خارج الأزهر وتشكلت معالم كلية أزهرية جديدة هي كلية الدراسات العربية الإسلامية وانتعشت على يد الدكتور عبد الحليم محمود نفسه قبل غيره..

وقل مثل هذا في الاتجاه إلى إنشاء كلية خاصة بالدعوة تستوعب مناهج كليات الإعلام دون أن تلزم نفسها بهذا المسمى النفعي او الدنيوي الذي يبدو جارحا للشعور الديني غير مستأنس معه على نحو ما يؤدي لفظ الدعوة ذلك المعنى.

دوره في نشر التعليم الازهري

ربما كان دور عبد الحليم محمود في الازهر أعمق وأبعد ادوار شيوخ الازهر المعاصرين اثراً، وقد اختار هو نفسه هذا الدور ليلعبه حين وضع معظم جهده وهو شيخ للأزهر فى أن يتوسع فى التعليم الأزهري العالي وقبل العالي ذلك التوسع الذى

لم يشهده الأزهر طيلة الألف عام التي مضت عليه، و هذه دعوى ظاهرة لا تحتاج إلى شواهد تثبتها، لأنها صارت حقيقة ناصعة أمام أعين الناس جميعاً في كل ركن من وطننا إذ تسلم الشيخ عبدالحليم محمود الأزهر وهو زهرة كبيرة ، فحوله الى حديقة من الزهور الجميلة القادرة على التجدد.

شهادة نصر عبد الغفور عن جهده في التوسع في معاهد الازهر

وصف البرلماني المخضرم الأستاذ نصر عبد الغفور رئيس لجنة التعليم والبحث العلمي في مجلس الشعب جهود الشيخ عبدالحليم محمود في هذا النطاق فقال :

«آمن بالتوسع في المدارس والمعاهد الدينية، وعارضه كثيرون في الأزهر وخارج الأزهر، بدعوى التجديد قبل التوسع وضيق ذات اليد، يد الأزهر، ونقص الموارد المُتاحة، وقلة الأساتذة، وهبوط المستوى، وكانت آخر كلماته في (منشأة سلطان) مركز منوف في افتتاح معهدها الديني: «إن الذين يدعون إلى عدم التوسع مخطئون، فأنا مع التوسّع بلا قيود وحدود، وإذا قصرت الميزانية في تدبير الموارد فلديّ بحمد الله الكثير من إعانات أهل البر والخير، وهم بحمد الله كثيرون، فلا تثبيط للهمم، بل دفع لها، وأردّ عليهم فأقول: إن عدد الذين يتعلمون في المعاهد الأزهرية كلها في جمهورية مصر بما فيها جامعة الأزهر خمسون ألفاً، وفي وزارة التربية والتعليم سبعة ملايين، فأين التوسّع؟ ولماذا التخوّف؟»

لقاء الرئيس الأمريكي كارتر

لم يتخلف الدكتور عبد الحليم محمود عن نصرة الرئيس أنور السادات في كلّ مواقفه السياسية وكان نعم السند والظهير ، وكان لقاؤه بالرئيس كارتر على سبيل السلام مضيفا إلى أمجاد العرب والمسلمين غير منتقص منها ذرة واحدة، وحتى إذا لم يعترف كارتر وأمثاله من الزعماء الغربيين بتأثير لقاءاتهم بالشيخ عليهم، فان السبب في عدم الاعتراف مفهوم، لكن التأثير واضح ، وبالطبع فإن أداء هذا الدور لم يكن سهلا في ظل الاستقطاب العربي المعادي على طول الخط لخطوات الرئيس السادات.

استقبال الملكة إليزابيث الثانية له ونجاح زياراته البريطانية

قام الشيخ عبد الحليم محمود بزيارات خارجية ناجحة كان منها زياراته لبريطانيا وفي إحدى هذه الزيارات استقبلته الملكة إليزابيث الثانية ورافقته في افتتاح عدد من الفعاليات مهمة، وقد ترك الشيخ أثراً بالغ الأهمية والاحترام في ذلك المجتمع البريطاني الذي عرف بروتوكولات التسامح الديني على نحو لم يتح حتى الآن في الإمبراطورية الفرنسية التي درس فيها، والتي لم تُعن حكوماتها بتجديد الاتصال الجاد او الوثيق به ولا بغيره من علماء الدين الإسلامي السوربونيين من أمثال مصطفى عبد الرازق وعبد الرحمن تاج ومحمد الفحام (الذين تولوا المشيخة) أو الذين احتلوا مكانة رفيعة في المجتمعات العلمية الإسلامية (من قبيل محمد عبد الله دراز ومحمد يوسف موسى ومحمد غلاب)..

تحفظ د. عبد الحليم على مؤتمرات حوار الأديان

من العجيب ان الدكتور عبد الحليم محمود كان من الذكاء السياسي بحيث انه لم يتورط في مهرجانات الحوار بين الأديان التي كانت في رأيه وسيلة للتعبير عن العبث الفكري وتضييع الوقت فيه ، وكان يجاهر بوضوح بضرورة ان يكون هناك التزام بما تُمليه روح التفاهم، فلا يُساء إلى المسلمين في مقدساتهم، وكان يقول :

" ونحن من جانبنا قد قدّمنا أسس التفاهم واضحة سافرة في احترام المسيح وأمه فماذا قدّم المسيحيون؟ هاجموا رسول الإسلام، وما زالوا يهاجمون مبادئهَ! أفيمكن مع ذلك التفاهم؟.

مجاهرته بأن الإسلام هو العامل الأكبر في تثبيت المسيحية

"إن الإسلام هو العامل الأكبر في تثبيت المسيحية حين اعترف بوجود المسيح، وحين برأ أمه، ومع ذلك فقد قوبل بجحود لا مثيل له، وما زال يقابل بهذا الجحود من المسيحيين" .

دوره في نصرة الرئيس أنور السادات

لم يتوان الدكتور عبد الحليم محمود أيضا عن دعم علاقات الرئيس أنور السادات العربية و الإسلامية في ذكاء منقطع النظير ، و بكياسة ولباقة رجل دولة من الطراز الأول، وعلى سبيل المثال فقد كان يدرك بفضل علمه الأكاديمي والأزهري أن تحالفات الرئيس أنور السادات مع السوريين والسعوديين (قبل حرب أكتوبر) لا ترحب بوجوده هو نفسه وزيراً للأوقاف ولا على رأس مؤسسة الأزهر.. لكنه بذكاء ونورانية شديدة مشى على الشوك دون أن يتألم أو يتأوه.

دوره في العلاقات العربية

وقد مكنه ذكاؤه أن يجد قاسما مشتركا يسهل لقاءه بالسعوديين، وكان هذا القاسم هو محاربة الشيوعية، وفيما عدا هذا القاسم فإنك لا تستطيع أن تجد المؤسسة الرسمية السعودية بذلت أي جهد في عون الشيخ عبد الحليم محمود، وربما يتعجب القارئ لهذه الفقرة الآن وهو يدور برأسه ليتأمل فيجد هذه الحقيقة تنطق بما فاته أن ينتبه إليه. أما علاقته بالبعثيين فقد كانت وعرة أشد ما تكون الوعورة في ظل ميراث العهد الناصري ، لكنها من ناحية أدبياتها كانت تبدو أسهل منالا عليه من علاقته بالسعوديين فقد كانت دراسته للفلسفة والقومية والبعث والنهضة كفيلة بأن تسعفه بالتعبيرات والتوافقات التي لا تجعل لغيره سيادة عليه ولا على فكره ولا تخلق لهم عداء معه أو نفور من فكره.

موقفه من الحرب الاهلية في لبنان

كان الحضور الطاغي الذي أحرزه الدكتور عبد الحليم محمود يدفعه الى ان يبذل جهدا في أزمة الحرب الاهلية في لبنان ، و قد بدأ الدكتور عبد الحليم محمود السير في هذا الطريق بان أصدر بيانا بشأن الأحداث الدامية والحرب الأهلية في لبنان، دعا فيه الأطراف المتنازعة من المسلمين والمسيحيين إلى التوقف عن إراقة الدماء وتخريب معالم الحياة، وأهاب بزعماء العرب والمسلمين إلى المسارعة في معاونة لبنان على الخروج من أزمته، وفاء بحق الإسلام وحق الأخوة الوطنية والإنسانية،

وقياما ببعض تبعات الزعامة والقيادة التي هي أمانة الله في أعناقهم. وقد طالب الشيخ عبد الحليم محمود الأمين العام لجامعة الدول العربية بالعمل بحسم وعزم على وقف النزيف الدموي الذي أسالته المؤامرات المعادية على أرض لبنان.

موقفه من قضية الصحراء الغربية

كان للدكتور عبد الحليم محمود موقف ذكي ومحمود حين اندلعت الأزمة بين المغرب والجزائر بشأن مشكلة الصحراء الغربية التي كانت إسبانيا تحتلها، وأدى الخلاف بينهما إلى مناوشات حربية كادت تتحول إلى حرب عنيفة. وقد سارع إلى إرسال برقية إلى كل من ملك المغرب ورئيس الجزائر، دعاهما إلى التغلب على نوازع الخلاف وعوامل الشقاق والفرقة، وأن يبادرا بتسوية مشكلاتهما وموضوعات الخلاف بينهما بالتفاهم الأخوي ، والأسلوب الحكيم، وناشدهما باسم الإسلام أن يلقيا السلاح وأن يحتكما إلى كتاب الله.

تأييده وساطة الرئيس السادات الناجحة

أرسل الدكتور عبد الحليم محمود في الوقت نفسه برقية إلى الرئيس السادات يرجوه التدخل للصلح بين القطرين الشقيقين، جاء فيها: "تتعلق بزعامتكم قلوب المسلمين من العرب والمسلمين الذين ينتظرون مساعيكم الحميدة في إصلاح ذات البين بمناسبة الصدام المسلح المؤسف بين البلدين الشقيقين الجزائر والمغرب". وقد رد الرئيس السادات على برقية شيخ الأزهر ببرقية يخبره فيه بمساعيه للصلح بين الطرفين جاء فيها: "تلقيت بالتقدير برقيتكم بشأن المساعي لحل الأزمة بين الجزائر والمغرب، وأود أن أؤكد لكم أن مصر تقوم بواجبها القومي من أجل مصالح العرب والمسلمين، وما زال السيد محمد حسني مبارك نائب الرئيس يقوم بمهمته المكلف بها، أرجو الله عز وجل أن يكلل جهوده بالنجاح والتوفيق...".

إجلال الرئيس أنور السادات للشيخ عبد الحليم محمود

بلغ من إجلال الرئيس أنور السادات للأزهر والشيخ الدكتور عبد الحليم محمود أنه قام بنفسه بزيارة الشيخ في مكتبه في إدارة الأزهر ، ولما بلغ الشيخ الدكتور عبد

الحليم محمود سن التقاعد في ١٩٧٥ مد الرئيس له سنتين حتى ١٩٧٧ ثم مد له سنة أخرى حتى ١٩٧٨ ثم سنة أخرى توفي في أثنائها بعد أن تخطى الثامنة والستين من عمره بشهور .

مظاهر التكريم المتكرر من الرئيس السادات للشيخ

من الجدير بالذكر أن الأدبيات المصرية ومنها أدبيات أزهرية للأسف الشديد تحتفل وتحفل بالنقل عن أدبيات و روايات حافلة بأكاذيب كثيرة تصل إلى حد الافتراء فيما يتعلق بتاريخ الدكتور عبد الحليم محمود مع السياسة ومع الرئاسة في أثناء توليه مشيخة الأزهر.

ونظراً لأن الكتابة عن الشيخ ليست محلاً للسجال مع مثل هذه الأكاذيب لتفنيد جزئياتها واحدة بعد الأخرى فإننا نفضل أن نصور للقارئ مجمل علاقة الشيخ بالدولة وبالمنصب وتطورها في تاريخها الطبيعي. ونبدأ بجزئية لا تزال حتى يومنا هذا غائبة عن ذهن المصريين بمن فيهم كثير من الوزراء والمؤرخين ، وهي قضية تتعلق بمكانة الشيخ الوظيفية وما اقتضته من معارك صورت على غير وجه الحق.

الإمامان بيصار وجاد الحق حافظا على تراثه كله

كان الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الذي خلف الشيخ عبد الحليم محمود من الذكاء بحيث حافظ على تراثه كله، وقد ساعده على هذا أنه خلفه من قبل في منصب أمين مجمع البحوث الإسلامية، وفي منصب وكيل الأزهر وفي منصب وزير الأوقاف (حتى وإن كانت خلافته في بعضها لم تكن على سبيل التعاقب المباشر) وهكذا خرج الأزهر بفضل عبد الحليم محمود وخلفاه (الشيخان محمد عبد الرحمن بيصار وجاد الحق) من هذه المعادلة المتسمة باللزوجة كما يقول المثقفون إلى أن وجد الشيخ محمد سيد طنطاوي ١٩٢٨- ٢٠١٠ في الأمر نوعا من البر بالجيران واهل الإقليم فقد كان هو والبابا شنودة ١٩٢٣- ٢٠١٢ من محافظة واحدة هي محافظة سوهاج.

تركه لخلفائه طرقا معبدة

وإذا جاز القول بأن خلفاء الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود في مشيخة الأزهر قد وجدوا طرقا كثيرة ة تركها لهم هذا الشيخ العظيم وهي معبدة ، فإن أهم هذه الطرق كان هو طريق اللجوء إلى راية العلم لتظلل التعاون والعلاقة بين الأزهر وغيره، وقد كان الدكتور بيصار والشيخ جاد الحق من الذكاء بحيث التزما بهذا الطريق، ثم كان الشيخ طنطاوي حذراً وهو يتفرع عن هذا الطريق لإرضاء السطوة التي كان ما يسمى بالمال العربي يفرضها على القرار السياسي، لكنه بحكم ما رآه في فتوته وشبابه (وهو المولود ١٩٢٨) كان لا يزال متأثرا ومدركا لروح الزهو المصري والأزهري بما كان عاصما له من النزول من على القمة مهما كان تواضعه..

لكن الأزمة الحقيقية فرضت نفسها على الشيخ أحمد الطيب الذي وجد الخيار صعبا وأن عليه أن يستبقي العلم والفلسفة في البدروم بدلاً من أن يدخلهما المحاضرة أو المشرحة فاختار على حسب روايته ورؤيته أخف الضررين.

إجلال أعلام العصر للشيخ

ومن مظاهر احترام الشيخ محمد متولي الشعراوي ١٩١١- ١٩٩٨ للدكتور عبد الحليم محمود رفضه الجلوس بجواره ، مفضلا الجلوس أمامه على الأرض حتى في المجالس العامة، وقد صمم الشيخ محمد متولي الشعراوي على تلك الجلسة أيضا في مكة أمام أكثر من ثلاثمائة شخص.

من رثاء مصطفى أمين

ومن المقال الذي رثا به الأستاذ مصطفي أمين ١٩١٤- ١٩٩٧ الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود نقتطف للقارئ الفقرة التالية:

«عرفت الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر شجاعا لا يخاف، جريئا لا يتردد. عشت معه كثيرا من أزماته. رأيته يصطدم بالحكومات ويرفض أن يتراجع، ويقول رأيه ولا يهمه إذا أرضي أو أغضب، وكانت له آراء لا أوافق عليها،

لكنني كنت أحب فيه أنه لا ينحني ولا ينثني، وكان شديد الاعتزاز كرامته، وكان يقول: إنه قادر أن يتواضع بشخصه، ولكن المركز الديني الذي يشغله لا يستطيع أن يتواضع».

موقفه الأشم من قضية جماعة التكفير والهجرة

كانت المحكمة العسكرية التي تصدت للحكم في قضية جماعة التكفير والهجرة المصرية، فيما قبل حادثة اغتيال الشيخ الذهبي ، قد استعانت بعدد من علماء الأزهر لإبداء الرأي في فكر هذه الجماعة، غير أن المحكمة لم تسترح لرأيهم، وكررت ذلك أكثر من مرة، وكانت في عجلة من أمرها؛ الأمر الذي جعلها تصدر أحكاما دون استئناس برأي الأزهر.

و لم تكتف المحكمة بذلك بل تضمن حكمها هجوما على الأزهر وعلمائه، حيث قالت المحكمة : " إنه كان على المسئولين عن الدعوة الدينية أن يتعهدوا الأفكار بالبحث والتدبر بدلا من إهمالها وعدم الاعتناء بمجرد بحثها.

ثم لمزت المحكمة العسكرية علماء الأزهر بقولها: " و وا أسفا على إسلام ينزوي فيه رجال الدين في كل ركن هاربين متهربين من أداء رسالتهم أو الإفصاح عن رأيهم أو إبداء حكم الدين فيما يعرض عليهم من أمور، فلا هم أدوا رسالتهم وأعلنوا كلمة الحق، ولا هم تركوا أماكنهم لمن يقدر على أداء الرسالة".

وقد أعلن الدكتور عبد الحليم محمود غضبه من هذا النص الذي تضمنه بيان المحكمة ، فأصدر بيانا قويا ناصعا ساطعا نشرته بعض الصحف .

و في هذا البيان اتهم الدكتور عبد الحليم محمود المحكمة بالتعجل وعدم التثبت، وأنها لم تكن مؤهلة للحكم على هذا الفكر، وأنها تجهل الموضوع الذي تصدت لمعالجته، وكان يجب عليها أن تضم قضاة شرعيين يقفون موقفها ويشاركونها المسئولية ويتمكنون من الاطلاع على جميع ظروف القضية ونواحيها فيتمكنون من إصدار الحكم الصحيح.

كذلك فقد ذكّر الدكتور عبد الحليم محمود المحكمة بأنها لم تمكن علماء الأزهر من الاطلاع على آراء هذا التنظيم أو الاستماع إلى شرح من أصحابه، والاطلاع على كافة الظروف التي أدت بهم إلى هذا الفكر.

موقفه القوي من قضية اغتيال الشيخ الذهبي

كان من أبرز التجليات التي أعادت للدولة العميقة سلطانها منذ النصف الثاني لعهد السادات قضية مقتل الشيخ الذهبي، ورغم ما تدلنا عليه كتب المذكرات السياسية التي صدرت للقيادات الأمنية من إحساسهم بالقصور الأمني في متابعة هذه القضية فإن الدولة العميقة بذكائها المهني سرعان ما استغلت هذه القضية استغلالاً كبيراً في تثبيت الرؤية الداعية إلى استعادة الدولة لقبضة أمنية تتناقض مع ما كان رئيس الدولة قد أتاحه بنفسه على أصعدة كثيرة من تعدد الأحزاب و حرية الصحافة ولائحة الطلاب ونشاط النقابات والانفراج في معاملة المجتمع المدني وتشجيعه وعودة الإخوان المسلمين.. الخ.

ومن العجيب (وهو أمر طبيعي في الفهم العميق لعلم الاجتماع السياسي) أن ما سمي بالتنظيمات المتطرفة كانت من خلال أفعالها غير المحسوبة أو غير المسئولة تدعم نظرة الدولة العميقة دعما لا حدود له.

وقد كان من الصعب على منطق الأمن (بمؤسساته المختلفة) أن يقبل بترك محاكمة المتهمين في قضية مثل قضية مقتل الشيخ الذهبي لمحكمة مدنية، ولهذا فقد كانت المحكمة العسكرية التي حاكمت قتلة الشيخ الذهبي حريصة على أن تضم رأي الأزهر إلى حيثيات حكمها لكن الشيخ عبد الحليم محمود بذكائه الإيماني والفقهي والقانوني أدرك أن عليه واجبا آخر تجاه الحقيقة وتجاه القضاء ، ولهذا فقد جاء رد الدكتور عبد الحليم محمود على المحكمة آية من آيات الحكمة وتجلي العقل ، وسنورد هنا أهم فقرات هذا الرد .

فضل نظام السادات في السماح بالرد ونشر الرد

لكننا نحب قبل أن نورده أن نشير إلى حقيقة مهمة وهي أنه لولا مناخ الحرية والحياة المدنية الذي كان الرئيس السادات قد أعاده وشجعه ما كان في وسع أحد بمن في ذلك شيخ الأزهر أن يبدي مثل هذه الآراء كتابة، متسلحاً بالحق والحق وحده، وأن ينشرها . ولعلنا وقد رأينا مدى ردود فعل طبقة حكام معاصرين ندرك مدى ما كانت فترة رئاسة السادات تتيحه للعلم والرأي والفكر من ساحات التعبير الآمن والصريح عما يتعارض بوضوح مع الرؤية الأمنية، ومع هذا الوضوح فإن المعاصرين لا يريدون ان ينتبهوا إلى هذا المعنى في ظل تفضيلهم بل غرامهم بالتكرار غير الواعي لنصوص و أدبيات التحليل الإسرائيلي والبعثي والعربي في العداء الابدي و المطلق لشخص السادات ولسياسات السادات وعصر السادات ونجوم عصر السادات بمن فيهم الشيخان عبد الحليم محمود و الشعراوي .

رد الشيخ عبد الحليم محمود على المحكمة

هذا هو الشيخ عبد الحليم محمود على كل حال يكتب للمحكمة ردا طويلا ننقل منه قوله عن موقف علماء الأزهر من هذه القضية:

- **أولاً:** أنه إذا كان المطلوب منهم إبداء الحكم الإسلامي في آراء غير معروضة عليهم عرضاً محدّداً دقيقاً كاملاً، فإنه يكفي في ذلك الرجوع إلى مؤلفاتهم العديدة التي تملأ الأسواق وإلى مصنفات العلماء السابقين عليهم التي يزخر بها التراث.
- **ثانيا:** أما إذا كان المطلوب من علماء الأزهر إبداء الحكم الإسلامي، في آراء هذه الجماعة بالذات، فقد كان الأمر يقتضي "باسم العلم وباسم العدالة وباسم الإسلام":
  - أن تعرض عليهم آراؤها في مصادرها الأصلية، وأن يمكنوا من الاستماع إلى شرح أصحابها لهم، وتوضيح غامضها، وتفصيل مجملها.

- أن يطلعوا على كافة الظروف التي أدّت بهم إليها. وهذا للأسف الشديد هو الأمر الذي لم تشأ المحكمة أن تمكّن منه علماء الأزهر، واكتفت بأن عرضت عليهم المحضر الذي سجلته النيابة، من أقوال ومناقشة المسؤولين في هذه الجماعة، ومع شدة احترامنا لجهود النيابة في تسجيل هذا المحضر، فإنه لا يخفى على أحد أنه لا يمكن أن يكون، مصدراً كافياً يقوم عليه بحث العلماء، أو اساساً متكاملاً تصدر عليه احكامهم.

- **ثالثا:** إن علماء الأزهر وجدوا في قضية الفكر تباعداً بينهم وبين موقف المحكمة، فبينما تتصدّى المحكمة للحكم بتجريم هذا الفكر أو عدم تجريمه، يرى علماء الأزهر من وجهة نظرهم انها قضية رأي لا تحتمل غير الحكم بالصواب أو الخطأ، وبخاصة إذا لاحظنا أن ذلك يجري في مجتمع يتمتع بحرية الرأي والاعتقاد، وأن هذه الحرية تصل ـ خلافاً لما يراه علماء الأزهر ـ إلى حدّ السّماح للفكر الإلحادي وعلى قمّته الماركسية من أن يكون له فلاسفته ودولته وناشروه، ومن هنا فقد رأى علماء الأزهر أن ما يُطلب منهم بتجريم هذا الرأي أو عدم تجريمه، أو مساعدة على ذلك، ليس مما يدخل في دائرة اختصاصهم بحالٍ من الأحوال، وإنما الذي يدخل بيان الرأي.

حملات الشيوعيين المتصاعدة على الشيخ

في أجواء نصر أكتوبر ١٩٧٣ كنا نعيش الزهو بالنصر والفرحة بأثر الإيمان واليقين بأننا انتصرنا تحت راية الله أكبر ، وكنا في ذلك الوقت قد بدأنا خطواتنا لندعو الدكتور عبد الحليم محمود للقاء بنا في مدرسة المتفوقين ، لكننا فوجئنا في ذات الوقت بحملات منظمة تقوم بها ما كنا نعتبرها أجهزة مسئولة في الدولة مثل جريدة الأهرام على سبيل المثال من خلال مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في تلك الجريدة.. كانت أبرز هذه الحملات تلك الحملة التي تسخر من الدكتور عبد الحليم محمود بعمق وتكرار، ولكن مع الحرص الشديد على تغليف السخرية بأدب، وذلك لأنه قال شيئاً بل أشياء من قبيل إن الملائكة كانت تحارب مع جنودنا في العاشر من رمضان (٦ أكتوبر).. كان الدكتور عبد الحليم محمود حريصا في أثناء الحرب

وطوال فترة المعركة على أن يكون هو نفسه مَنْ يخطب الجمعة في الشعائر التي كانت الإذاعة تنقلها ، وكانت الجماهير تلتف حوله لتسمع الأنباء المبشرة ، وكان حديثه في هذه الخطب يتضمن هذه الإشارات الإيمانية التي كانت تزعج جريدة الأهرام أيما إزعاج لكن الجريدة في الوقت نفسه كانت لا تستطيع أن تجاهر بهذا الرأي من خلال صفحاتها ، فقد كانت الصحافة تخضع للرقابة الذاتية قبل الداخلية ، وللرقابة للداخلية قبل الحكومية ، وهكذا كانت الاهرام تمارس الحقد على آراء الشيخ من خلال السخرية التي يجيدها الماديون ، وكانت هذه السخرية تنتقل انتقالات واسعة من خلال الندوات واللقاءات والوفود ، وكان من الطبيعي أن تجد من يحدثك أنه التقى فلاناً من الأهرام فوجده في غاية الضيق من أن يصدق الناس مثل هذا الكلام الميتافزيقي (ونحن نستخدم التعبير المهذب) في عصر العلم!..

كان من حظنا (أنا وزملائي في مدرسة المتفوقين) أن رزقنا بموافقة واحد من الدكاترة المرتبطين بمركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية كان في ذلك الوقت يسارياً تماماً بل يساريا منَظَّما (بلغة المصطلح) وكان حين استقبلناه واستمعنا اليه لاذع السخرية ضيق الصدر عميق الحقد على الشيخ عبد الحليم محمود بشخصه وصفته ، بل لقد كان سخيف اللفظ أيضا ، ولست أجد لفظاً أخف من هذا لوصف ما كان يتكلم به في حرقة وعصبية وغل لكنني سعيد بأن أروي أنه انتهي فيما بعد الى ان يكون سلاحا من أسلحة الإيمان ، وأن يختم حياته قريبا جدا من الإسلاميين ، وأن يتحول هو نفسه ليصبح رمزا من رموز كشف الزيغ الأيدولوجي و توعية الأمة بمخاطر العولمة .

فتواه المُعلِنة بكفر الشيوعية

في سنة تالية لنصر أكتوبر ١٩٧٣ عشنا تجربة مثيرة في مدرسة المتفوقين ، عاد أحد أساتذة المدرسة من بعثة تعليمية في الاتحاد السوفييتي بعد حصوله على الدكتوراة ، وكان عليه أن يبحث لنفسه عن وظيفة في إحدى الكليات الجامعية ، وتصادف أن الكلية الوحيدة التي كانت ترحب بالعائدين من هذه البعثات الى الدول الشرقية كانت تابعة لجامعة الازهر التي كانت تشهد اهتماما حثيثا بتقوية أقسامها

العلمية على يد الشيخ عبد الحليم محمود نفسه ، لكننا فوجئنا بان الشيخ الواعي دارس الفلسفة و استاذها يقبل العائدين بهذه الشهادات بعد التأكد من قيمة مستواهم العلمي و بشرط جوهري هو أن يعلنوا عن توبتهم عن الشيوعية باعتبارها كفرا ، ومن العجيب أن هؤلاء العائدين كانوا يقولون ان الشيخ محق فيما يفعل لانهم عجنوا بالشيوعية عجنا في اثناء دراستهم ، و كان هؤلاء المبعوثون يتقبلون هذا المنطق و يقولون ان الدكتور عبد الحليم محمود على حق ، و من المؤسف و المضحك أنه لم يكن للمعترضين على سياسة الشيخ في هذا الصدد (ومنهم من اصبحوا يصنفون على أنهم إسلاميون إلى أن كشفهم الانقلاب) من انتقاد الا قولهم بانه من الجائز ان يكون من بين الملحدين انسان لم يبارح قريته في أقصى الصعيد أو الصحراء ، وهي طريقة معروفة من طرق التشويش الجدلي ، لكن هذا القول لم يتعد نطاق السخرية " الحكومية" على نحو ما كانت توصف آراء الاتحاد الاشتراكي ، ذلك أن التوجه الايماني للمجتمع في ذلك الوقت كان عاليا ، ومنتصرا ، وقد كانت شجاعة بالغة من الشيخ عبد الحليم محمود بموقعه و من موقعه أن يجاهر بهذا الرأي في وقت مبكر لكنه كان يجاهر ويقول : " الشيوعية كفر، وأن الماركسية هي المادية، وأن المادية تنكر عالم الغيب فلا إله!" ، بل لقد ختم الدكتور عبد الحليم محمود فتواه بقوله بأن المسلمة لا تحلّ لشيوعي، وأنه إذا مات الشيوعي فلا يُصلّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، وأن باب التوبة مفتوح، فإذا تاب الشيوعي تاب الله عليه» وهي فتوى صريحة لا تعرف تخفيف الكلمات، ولا متطلبات الدبلوماسية.

الدولة العميقة تحارب الشيخ ورئيس الجمهورية ونائبه

بدا الأمر لنا و لأقراننا حين كنا لا نزال شبابا لم يتلون ولم يتلوث بعد ، و في وضوح شديد لا ينكره إلا المغرضون أن هناك تيار إيمانيا يضم رئيساً مؤمنا وشيخا للأزهر مشتبكا مع الواقع و معهما مجموعة قليلة من رجال الدولة كان منهم بالمناسبة الرجل الثاني في الدولة ونائب رئيس الجمهورية حسين الشافعي الذي كان يقوم بدور مواز للشيخ الدكتور عبد الحليم محمود في ارتياد المساجد والتبشير بالنصر والامتنان للقائد المنتصر ، وكان يؤدي هذا الدور بإخلاص شديد و بكفاءة عالية وحب متفانٍ (لا أدري ما الذي جعله يتناساها فيما بعد) وقد كان على مستوى تاريخه القريب

مؤهلا تماما للإفادة في هذا الدور الريادي فقد كان وزيرا سابقا للأوقاف ، يعرفه العاملون في المساجد ، وكان على المستوي الشخصي يصلي الفروض الخمسة في المساجد جماعة في الأماكن التي يدرك فيها وقت الصلاة ، بينما كانت الأجهزة الحكومية القديمة لا تزال على إيقاع العهد الناصري في التبرؤ من الإيمان ومن الدين ومن الأزهر وبالتالي من الكرامات ومن نصر اللهَ!!

هكذا فتحنا أعيننا مبكراً على الحقيقة التي يمكن تلخيصها بلغة اليوم وهي أن الدولة العميقة كانت تقود ثورة مضادة تماماً لإنجازات الرئيس أنور السادات والدكتور عبد الحليم محمود ومصطفى محمود وحسين الشافعي وسيد مرعي و مجموعة بارزة من رجال الدولة والنخبة من الذين يؤمنون بما سمي بعد ذلك بالصحوة الإسلامية بينما أجهزة الأمن جميعا لا تزال على عقيدتها في تجريم الإسلام نفسه وكل ما هو إسلامي النزعة .

رأينا هذا رأي العين وعشناه ، ولهذا فإننا نتعجب من أن كثيرين ومنهم مثقفون وطنيون و مثقفون إسلاميون لا يزالون يصدقون النظرية التي ابتدعتها المخابرات الغربية والإسرائيلية من أن الرئيس أنور السادات تقرب من الإسلاميين ليضرب بهم الشيوعيين !! ، وهي نظرية مفبركة فضلا عن أنها مسيئة لمصر وللمصريين جميعا وللشيوعيين جميعا وللإسلاميين جميعاً، وهي نظرة تستهدف القفز على هداية الله للبشر، وعلى إرادة الشباب للهداية، وعلى الفطرة السليمة، وعلى التراث الوطني السياسي الحقيقي الذي صنعه الوفد والأحزاب المنشقة عليه والذي لم يكن يُعادي الإسلام بأية صورة ولا أية درجة.

ممارسته لصراعاته الفكرية بدون قداسة

على ان الجزئية المهمة في علاقة الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود بالسياسة هي أن صراعه مع كثير من الآراء في المجتمع كان يأخذ صورة الصراع الفكري الحقيقي و الحيوي بعيداً عن اللجوء بأية صورة إلى فكرة القداسة أو المرجعية بل بعيدا تماما عن الاستجابة المتوقعة أو الطبيعية لمحاولة الآخرين جره إلى هذا المربع

لتوريطه فيه، وعلى سبيل المثال فإننا نستطيع أن نذكر الحقيقة في بعض المعارك التي خاضها الشيخ .

قصة معركة الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي

كان جو هذه المعركة الذي كاد ينسى تماما مثيرا الي ابعد حد ، ومبهجا أيضا الي ابعد حد ، بدأت المعركة التي شنها الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي رئيس مجلس إدارة روز اليوسف في محاولته الصريحة في أن يهاجم الأزهر بطريقة محتشمة ومشروعة لكن طريقة مدرسة روز اليوسف الصحفية في ذلك الوقت سرعان ما قلبتها لتتسم المعركة بما يقارب الابتزاز ، فقد كان الجهاز المختص في مجمع البحوث الإسلامية قد اعترض على بعض عبارات في نص مسرحية الأستاذ الشرقاوي عن الإمام الحسين ، ومن ثم لم تجز الرقابة على المصنفات الفنية عرضها، و من الجدير بالذكر أن الأستاذ الشرقاوي كان في الذهنية العامة يساريا لكنه ليس من اليساريين المخاصمين للدين صراحة بل انه كان حريصا على أن يكتب في الإسلاميات بإنصاف شديد ، ومن هذا أنه هو الذي كتب عن الإمام ابن تيمية، وقد اعتبره من أئمة الفقه السبعة مع أن مؤرخي الفقه لا يوافقون تماماً على هذا فليس لابن تيمية مذهب مستقل بتعريف المذاهب الفقهية، لكن قيمة عمل الأستاذ الشرقاوي في هذا الميدان طواها النسيان للأسف الشديد .

كان اليساريون المتربصون بالسادات منذ مايو ١٩٧١ لا يرتاحون على الاطلاق إلى علاقة الود بين الرئيس السادات والأستاذ الشرقاوي، وهكذا فإنهم انتهزوا رفض الأزهر الموافقة على عرض مسرحية الحسين في مجموعة فعاليات :

- ليشعلوا معركة بين الشرقاوي من جانب والشيخ عبد الحليم محمود و الأزهر (كمؤسسة) من جانب آخر.
- و لتكون هذه المعركة فرصة لترديد المقولات اليسارية عن خطورة تنامي سلطة علماء الدين وممارستهم للمنع والرقابة على الابداع من ناحية أولى .

- ولتكون فرصة لتحطيم العلاقة بين السادات والشرقاوي (وتيار اليسار المؤيد للسادات) .
- ولتكون من ناحية أخرى فرصة لتحطيم علاقة الشرقاوي بالإسلاميين وبخاصة أنه كان صديقا لشخصيات إسلامية كثيرة من قبيل الدكتور عبد المنعم النمر على سبيل المثال
- ثم لتكون ، وهذا هو الهدف الأهم رغم تأخيرنا لذكره فرصة للنيل من الرجل الإيماني أو النوراني الشيخ عبد الحليم محمود وصورته الإصلاحية التنويرية النشطة و المنتعشة والمؤثرة .

تداعى اليساريون ونادى بعضهم بعضا كالعادة للهجوم المكثف على الشيخ عبد الحليم محمود ذلك الرجل الذي صوروه على أنه يجر المجتمع الى الغيبيات على حد تعبيرهم ، و بالطبع فإن هناك كتابا مخلصين و فضلاء انخدعوا في القصة ، و ظنوا أن الإمام الاكبر نفسه قد اصبح ضحية للموظفين الفنيين ، ومع هذا فإن الصحة تنتصر على المرض كما هو الحال في الفسيولوجيا السليمة ، و من المذهل أن اقوى موقف صحفي وقفته الصحافة الرسمية أو التابعة للدولة فيما يسمى بالمؤسسات القومية كان هو موقف مجلة آخر ساعة التي كانت في ذلك الوقت أعلى المجلات توزيعا وأكثرها تأثيراً والتي كانت تتخطفها الأيدي بمجرد صدورها، والمذهل في الامر أن رئيس تحرير آخر ساعة كان اديبا ومفكرا شيوعيا حقيقيا تعرض للسجن والاعتقال والتعذيب وهو المفكر المصري الكبير الأستاذ أحمد رشدي صالح. وببساطة شديدة فقد استكتبت "آخر ساعة " عشرة من كبار علماء الأزهر أيدوا الشيخ عبد الحليم محمود في تظاهرة لم تحدث من قبل ولا من بعد في معركة من هذا القبيل. شهدنا بأعيننا فصولا كثيرة من هذه الواقعة ، فقد كان من حسن حظنا أنني فوجئنا بالمعركة مندلعة امام أعيننا في المطبخ الصحفي في اليوم الذي ذهبنا فيه إلى "آخر ساعة" لإجراء حوار صحفي معي ، ثم للتصوير، ثم لمتابعة المعركة التي بهرتنا تماما وهي ساخنة في مطبخ "آخر ساعة" نفسه.

وفيما بعد عقدين من الزمان أدركنا ان هذه المعركة التي شغلتنا وهي مشتعلة كانت خطا مفصليا و فيصليا في تجاوز الصحافة المصرية لمرحلة الأيديولوجيا

المنظمة والمنتقلة إلى منطق فكري رحب وذكي يتجاوز الانحياز الايدولوجي بفضل سلامة البيئة السياسية .

قصة الصراع الوظيفي بين مشيخة الازهر و وزارة شئون الازهر

كان منصب شيخ الأزهر حتى بعد أن تولاه الشيخ عبد الحليم محمود أقل بروتوكوليا وماليا من درجة الوزير، و قد كان هذا الوضع مكرّسا طيلة عهد الرئيس عبد الناصر لدرجة أن الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر رقيّ في ١٩٥٨ ليكون وزيرا في الاتحاد بين مصر وسوريا واليمن ، و استمر الحال هكذا مع الشيخ شلتوت الذي عانى من تلميذه الدكتور محمد البهي حين كان يظن و يصرح بأنه كوزير للأوقاف وشئون الازهر أعلى كلمة من شيخ الأزهر ، وقد تطورت هذه المعركة حتى عجلت بمرض الشيخ شلتوت ورحيله .

وقد استمر الوضع مع شيخي الازهر اللذين خلفا الشيخ محمود شلتوت وهما الشيخان حسن مأمون ومحمد الفحام ، و كان الوضع كذلك بالنسبة للشيخ عبد الحليم محمود حين تولى المنصب ، وقد صدر بتحديد راتبه وبدلاته قرار من رئيس الجمهورية ، وقد كان النص على راتبه متضَمنا مع قرار تعيينه، وبالطبع فإن هذا المرتب لم يكن، لدواع بيروقراطية تنظيمية ، يتخطى مرتب الوزير ولا بدلاته وانما كان بنسبة ٨٠% منه .

منح منصب شيخ الازهر درجة وزير

في يوليو ١٩٧٤ صدرت تعليمات رئاسية من الرئيس أنور السادات (وليس غيره) بأن يعامل منصب شيخ الأزهر بدرجة وزير، ليس هذا فحسب وإنما أن يكون سابقاً على كل الوزراء في البروتوكول . وكان هذا الاجراء ذوالخطوتين الذي أتمه الرئيس السادات نفسه من دون أن يطلبه أحد منه نوعا من أنواع التكريم لا يجوز إغفال دلالته و لا قلبها ولا تزويرها ، و بخاصة انه ليس هناك ما يجبر الرئيس ، أي رئيس ، عليها .

الارتقاء بالدرجة الوظيفية والمالية لشيخ الازهر

مع الزمن ومع تقدم الشيخ عبد الحليم محمود وأقدميته بين رجال الدولة بدأ الحديث الرئاسي عن أن تكون درجته المالية درجة نائب رئيس وزراء، وتم هذا أيضا بتوجيه من الرئيس السادات .

ومع الزمن أيضا وفي خطوة ثالثة من خطوات تكريم الرئيس السادات للشيخ عبد الحليم ، صدرت توجيهات الرئيس أنور السادات بأن يكون الشيخ بدرجة رئيس وزراء ، وغير خاضع لسن الإحالة للتقاعد ، و أن يصدر بهذا قانون ، وصدر القانون، فطبق بالفعل مع خلفه المباشر الشيخ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الذي لم يكن قد أبلى من البلاء الحسن ما يستحق به هذا التكريم الرسمي من أول يوم له في المنصب ، الذي تولاه وهو في التاسعة والستين من عمره ، لكن هذا التكريم كان قد جهز للدكتور عبد الحليم محمود الذي توفي فجأة فورثه الدكتور بيصار ضمن ما ورث.

الحقيقة في منبع الحديث المتكرر عن هذه الجزئية

من حق القارئ أن يعرف منبع الحديث عن هذه الجزئية التي تصور و تتداول على النقيض تماما لما حدث ، وبخاصة أن ما روي عن هذه القصة يمس في رأينا فهما قاصرا لمنبع دائم ومتجدد في بناء كل دولة حديثة ، ولهذا فسوف أقربه للقارئ بما لا يدعه نهبا لكل حديث خطابي أو دعائي يردده أصحابه بحسن نية ، ذلك أنه يمس فهمنا لآلية عمل المؤسسات في النظام الديموقراطي . يرتبط هذا المعنى بما كان من حرص الرئيس السادات ، وحرص الدولة في عهده ، وحرص الدكتور عبد الحليم محمود نفسه على اتباع النهج الأساسي والأسلم في دولة المؤسسات، و من المعروف في بناء الدولة أن مفهوم (أو مبدأ) دولة المؤسسات يرتبط بمفهوم (أو مبدأ) آخر يتوازى معه هو مفهوم المسئولية الوزارية، وحتى نفهم علاقة هذا بالأزهر و بتاريخ الشيخ ، فمن الأفضل (بتقنية تحريك الكاميرا من الأبعد للأقرب) أن نبدأ بفهم نموذج بعيد عن الأزهر وهو المتمثل في أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا وهي الجهاز الحكومي المسئول عن البحث العلمي والتكنولوجي فمن الأفضل في دولة

المؤسسات أن يكون لهذه الأكاديمية (ولمثلها من أجهزة الوزارات الأخرى) مجلس (أو ما يناظر في التعبير المطروق : مجلس إدارة) يتكون من شخصيات عامة ذات صلة بعمل الجهاز مع شخصيات عامة ذات مواقع حكومية تمثل الوزارات التي يتقاطع عملها مع الأكاديمية (أو الجهاز). هذه هي الأصول التي تقول بها فكرة أو مبدأ دولة المؤسسات التي تفصل المؤسسات القومية عن الاضطرابات السياسية الوزارية، وتجعل لهذه الهيئات كيانا مستقراً وقبضة عالية من المجلس ومن رئيس المجلس الذي لا بد وأن يكون من ميدان عمل الجهاز، ولا يكون كمنصب الوزير سياسياً قابلاً لأن يأتي من أي ميدان ، ومع هذا فإن الوزير هو المسئول السياسي، ومعنى المسئول السياسي أنه هو "التنفيذي" الذي يسأله مجلس الشعب (البرلمان) عن الأداء "التنفيذي".

ضمان دولة المؤسسات للبعد عن الاضطرابات الوزارية

نتيجة لهذا الحرص على هذين المبدأين المتوازيين و المتوازنين معا فقد كان هناك على الدوام صراع بين وزير الدولة للبحث العلمي ورئيس أكاديمية البحث العلمي وبخاصة إذا ما كان وزير الدولة للبحث العلمي متفرغا لهذه المهمة وليس مشغولا بقطاع التعليم كلّه، وعلى سبيل المثال فقد وصلت العلاقات بين رئيس أكاديمية البحث العلمي القوي الدكتور عبد المنعم أبو العزم وزميله الوزير اليساري أو الشيوعي البارز محمد عبد المعبود الجبيلي درجات قصوى من الشد والجذب وإن بقيت في حدود العلاقة بين اشخاص ذوي قدرة على احترام الشكليات و الاخلاقيات و الاتزان، بل إن الدكتور عادل عز حين أصبح وزيراً للدولة للبحث العلمي لم يستطع التوافق مع الدكتور محمد عبد الهادي رئيس الأكاديمية مما اضطره إلى إقالته، ثم كسب الدكتور محمد عبد الهادي القضية ، وأعطاه حكم القضاء حق العودة إلى منصبه فوصلت الدولة إلى حل وسط بإنشاء الهيئة القومية للاستشعار عن بعد كي يرأسها.

وقد حدث شيء شبيه بهذا في أكثر من قطاع ، كان منها المجلس الأعلى للشباب والرياضة ووزير الدولة للشباب والرياضة.. وهكذا كان من الطبيعي أن يحدث مثل

هذا فيما يخص الازهر بين جهاز وزير الدولة لشئون الأزهر وبين جهاز مشيخة الأزهر، فالعاملون في وزارة الدولة لشئون الأزهر وهم بالطبع علماء أفاضل يرون أن حقهم أو أن من واجبهم أن يراجعوا المذكرات القادمة من المشيخة ، وأن يعدلوا فيها وأن يصيغوها في القالب القانوني ما دام التوقيع بالاعتماد أو بالقرار التنفيذي سيصدر عن وزارتهم وسيوقعه وزير شئون الأزهر.

الحالة الفريدة في عهد الدكتور عبد الحليم محمود

و في حالة الشيخ عبد الحليم محمود فقد كان الموقف أكثر من حساس ، ذلك أنه جاء إلى منصب المشيخة من منصب وزير الأوقاف وشئون الأزهر بما يعني بالوصف البيروقراطي البحت أنه بعدما كان هو نفسه الذي يعتمد ما هو قادم من المشيخة فقد أصبح مطلوبا منه أن ينتظر اعتماد الوزير اللاحق به في الوزارة، وازدادت الحساسية من ناحية أخرى بسبب أن هذا الوزير نفسه ولأول مرة وزير متفرغ فقط لشئون الأزهر، وهكذا فإن أمامه و أمام الجهاز المعاون له متسع من الوقت لقراءة كل ما هو مطلوب من أن يعتمده أو أن يقرره أو أن يمرره.. بل لقد كان أمام من يشغل هذا النصب متسع من الوقت لسماع كل شاكٍ و كل واشٍ يريد أن يعطل مصلحة زميله تحت دعوى التريث ، وازدادت الحساسية مرة ثالثة بسبب أن الوزراء السابقين لشئون الأزهر لم يتعودوا هذه العناية لأنهم كانوا مشغولين تماماً (بالأوقاف) عن شئون الأزهر، أو بمسئولياتهم السياسية أو مقتضيات الوجاهة كالحال في حسين الشافعي.

كل العوامل كانت تزيد من جرعة الحساسية

وازدادت جرعة الحساسية مرة رابعة من أن وزير شئون الأزهر نفسه كان قادماً لتوه من منصب وكيل الأزهر بل من منصب المشيخة بالوكالة أو بالتفويض لأن الشيخ عبد الحليم محمود نفسه كان وكيلا للشيخ الدكتور محمد الفحام الذي كان بحكم السن والصحة قد أطلق يد وكيله في كل شيء، واعتمد على تسييره للأمور نظراً لقدرة الوكيل وقوته في هذا المكان ، وهكذا فإن الشيخ عبد العزيز عيسى نفسه حين أصبح وكيلا للأزهر خلفا للشيخ عبد الحليم حاز ما كان يحوزه الدكتور عبد الحليم

وهو وكيل للأزهر مع فارق جديد هو أنه أصبح يحوز هذه الصلاحيات في مواجهة الدكتور عبد الحليم نفسه الذي أصبح وزيرا ! ثم أصبح وزيرا خلفا للدكتور عبد الحليم و في مواجهة الدكتور عبد الحليم نفسه الذي أصبح شيخا للأزهر .

وازداد عنصر الحساسية للمرة الخامسة من أن الرجلين من دفعة واحدة وأنهما سلكا سبيلين متوازيين ومتقاربين تماما في الصعود الوظيفي ، وأن صاحب السلك الجامعي وهو الدكتور عبد الحليم محمود لم يتأخر عن نوال حظه في التقدم في المجال الإداري والبيروقراطي البحت، كما أن صاحب السلك التعليمي العام لم يتأخر في أن يكون نداً للجامعي الأكاديمي حتى في أعلى الدرجات الوظيفية والمالية.

الإشكالية التي لم يستوعبها الأستاذ علي عبد العظيم

في ضوء كل هذا كان لا بد أن يحدث الصراع البيروقراطي بين حاشيتي الرجلين ولا نقول بين الرجلين، ومن المذهل أننا نقرأ تسجيل المؤرخ العظيم الأستاذ علي عبد العظيم مؤرخ مشيخة الازهر ١٩٠٩- ١٩٨٤ لهذه المعركة البيروقراطية البحتة على أنها كانت معركة بين الشيخ عبد الحليم محمود وبين الرئيس السادات بينما كان الرئيس السادات منحازاً تماماً لمكانة الشيخ عبد الحليم رافعاً لها على مكانة الوزير بل على كل الوزراء (وقد تعاقب على الشيخ من زملائه الوزراء المعممين أربعة هم المشايخ : عبد العزيز عيسى ، ومحمد السيد حسين الذهبي ، ومحمد متولي الشعراوي ، ومحمد عبد الرحمن بيصار).

بل إن الأستاذ على عبد العظيم غفر الله له ومن نقلوا عنه لا يزالون يتصورون و يصورون حرص الشيح عبد الحليم محمود على مكانة شيخ الأزهر في مواجهة السطوة الطبيعية للوزير بحكم مسئوليته الوزارية تصوراً قاصرا ، ومن ثم فانهم يصورونها تصويرا خاطئاً حين يظنونها معركة مع الدولة أو مع الحكومة بينما هي تفاعل طبيعي جداً ، وحيوي جدا، وصحي جدا بين فكرتي المسئولية الوزارية من ناحية ، ودولة المؤسسات من ناحية أخرى، وببساطة شديدة فان الدليل على صحة ما أذهب إليه هو أن الدولة نفسها لم تستطع حل مناط المسئولية الوزارية عن الأزهر إلا بإسنادها إلى رئيس الوزارة نفسه الذي أصبح بحكم منصبه هو وزير شئون

الأزهر ، و تكرر هذا حتى في حالة رئاسة رئيس الجمهورية للوزارة كما حدث في آخر وزارات الرئيس السادات وأول وزارات الرئيس مبارك أي ما بين مايو ١٩٨٠ و يناير١٩٨٢ فقد تولى المسئولية عن وزارة شئون الأزهر نائب رئيس الوزراء الذي كان قائماً بعمل رئيس الوزراء بالنيابة ، وهو الدكتور أحمد فؤاد محيي الدين.

وفي الوزارة السابقة وهي وزارة الدكتور مصطفى خليل (١٩٧٨ ـ ١٩٨٠) ونظراً لرغبة الدكتور مصطفى خليل في ألا يكون هو نفسه المسئول عن الأزهر فقد تولى هذه المسئولية الوزير المسئول عن وزارة شئون مجلس الوزراء وهو المهندس سليمان متولي سليمان ، على حين كان هناك وزيران للأوقاف تعاقبا في وزارة مصطفى خليل هما الدكتوران محمد عبد الرحمن بيصار وعبد المنعم النمر.. تكرر هذا مع الدكتور زكريا البري وزير الأوقاف في وزارة الرئيس السادات الأخيرة (مايو ١٩٨٠) وكل من بعده من وزراء الأوقاف فلم يتولوا وزارة شئون الأزهر و بدا هذا إكراماً من الرئيس السادات لمقام شيخ الأزهر ، أو بالأحرى لمقام الشيخ عبد الحليم محمود على وجه التحديد وخلفائه من بعده ، واستمرت الدولة في هذا النهج . لكن هذا كله تم تغييبه و لا يزال الناس ينقلون نصوصا مطولة عن الأستاذ على عبد العظيم غفر الله له بلا أي قدر من تأمل أو إنصاف لأنفسهم وعقولهم ، و لو أن الأستاذ على عبد العظيم فك شفرة كل هذه النصوص بسطر أو سطرين من كتبنا عن الوزراء أو البنيان الوزاري أو النخبة المصرية الحاكمة لظهرت الحقيقة التي هي عكس الاستنتاج الشائع على طول الخط .

رواية منفردة عن نية الشيخ تكوين حزب سياسي ذي خلفية دينية

في رواية منفردة و وحيدة روى الدكتور منيع عبد الحليم محمود للأستاذة سناء البيسي أن والده كان قد أزمع بالفعل على تكوين حزب سياسي ذي خلفية دينية في فترة الرئيس أنور السادات ، وبدأ العمل على بلورة الفكرة بعقد الاجتماعات التمهيدية، ولقاء البعض، وقد ظن الناس أن الرئيس أنور السادات عندما قال إنه لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين، كان يقصد بقوله الإخوان المسلمين، بينما كان يقصد في الحقيقة والدى الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود موجها ومسددا كلماته إليه.

ما ينسب إليه في قضايا المرأة

كان الحديث عن موقف الدكتور عبد الحليم محمود من حقوق المرأة نموذجا شيقا و مشوقا لمعركة افتعلتها و اشعلتها و استدعتها أجهزة الدولة العميقة كي تشوش بها على مضمون الخطاب السياسي للدكتور عبد الحليم محمود ، وقد حدث هذا أيضا و لا يزالا قابلا للحدوث مع طبقته من كبار علماء الإسلام ، في كل مجتمع يتيح الحرية السياسية ، فيدلل أعداء الحرية (من رجال الدولة العميقة) على خطأ قرار الحرية السياسية بأن حرية المرأة خطر من ناحية و بأن انتقاد العلماء لبعض مظاهر هذه الحرية يشعل نيران إشكالية الصراع بين التقدم الاجتماعي و الالتزام الديني . و من حسن حظ مصر أن الدكتور عبد الحليم محمود خرج من هذه المعركة فائزا عائما متجليا على نحو ما خرج من معركة الأستاذ الشرقاوي ، ومن الانصاف أن نكرر ما نراه ونعتقده من أن هذه المعركة (الأمنية) لم تكن معركة مخططة كالأولى ، وإنما كانت معركة مغلوطة تماماً ، ولهذا فإنها تبخرت تماما ولم يبق منها إلا ذكريات المماحكات الصحفية التي وصلت حد الاسفاف من دون ان يشارك فيها علماء الازهر فقد استحوذ على مجدها من كانوا يصفون بانهم كتاب إسلاميون ، وقد تمثلت هذه المعركة و تشكلت فيما كان يروى بطرق متناثرة عن توجهات مجموعة من السيدات اللاتي تصدرن العمل العام برعاية وريادة من السيدة جيهان السادات. وقد كان من الطبيعي ان تصدر عن هذه المجموعة من السيدات بمن فيهن السيدة جيهان نفسها تصريحات يمكن وصفها بأنها منفلتة قانونيا أو دينيا من قبيل ضرورة موافقة الزوجة للزوج على زواجه من زوجة ثانية (وهذا ليس موجوداً في أي قانون في العالم) وإنما الموجود وهو ما لا يتعارض مع الشريعة وهو ما تم إقراره فيما عُرف باسم قوانين جيهان هو أن يُخطر الزوج زوجته بالزواج الثاني ليكون من حقها أن تطلب الطلاق للضرر اذا كان هذا هو رأيها ، ذلك أن حصول الزوجة في ذلك العصر على إثبات رسمي أن زوجها قد تزوج عليها كان أمراً من رابع المستحيلات ، فلم يكن التصوير الضوئي سهلا ، ولا انتشر ، ولم يكن من المصرح به لمأذون ولا لمحام ولا لمحكمة أن تعطي شهادة لأحد بأن شخصا ما قد تزوج إلا أن يكون طالب الشهادة صاحب مصلحة ويثبت مصلحته في ذلك.

المغالطات في قضية المرأة

كانت معركة حقوق المرأة من طراز المعارك الملتبسة التي تضمن إدانة المسئول عنها في الحالين فإذا انحاز إلى اليمين أصبح عدوا للمرأة و متمسكا بالظلم الاجتماعي وإذا انحاز لليسار أصبح عدوا للدين (وليس للإسلام وحده) و مدمرا للبنية الاجتماعية! وإذا تجنب الحديث عن التحديث أصبح من دعاة الجمود و الابتعاد عن مواجهة الواقع . وفي حالة الدكتور عبد الحليم محمود فإن إنجازاته في معاهد الفتيات كانت بمثابة استفزاز لأعداء الوطن ممن لم يعرفوا دوره الرائد العظيم في قضايا المرأة في عهد الرئيس السادات الذي كان هو والشيخ أكبر نصيرين للمرأة حتى يومنا هذا.

وببساطة شديدة ، فإن تلك المعركة شأنها شأن المعارك الاجتماعية في البلدان النامية كانت تدور بطريقة مغلوطة بأن ينتقل تصريح صحفي على لسان سيدة ما بأن الدولة لن تسمح بالزواج إلا بعد موافقة الزوجة الأولى ، ويطلب صحفي من الشيخ (أي شيخ) وليس شيخ الأزهر (بالتحديد) رأيه فيقول بتلقائية شديدة ومباشرة : إن هذا خطأ ومحرم ، ولا يجوز ولم يرد في الشرع ، وإنه غير موافق عليه، أو يتمادي في حماس فيقول إنه يلعن من يؤلف أو يشرّع قانوناً مثل هذا.

أعداء حرية الصحافة يدللون على خطورتها

كنا في ذلك الوقت في بداية تفتُّحنا لإدراك آليات السياسات الاجتماعية بحكم الاتصال المباشر بالحضارة الغربية ، وكنا نرى هذا كله يتم أمام أعيننا فنعجب من هؤلاء الذين لا يتقون الله في وطنهم فيشعلون معارك تستند إلى مغالطات و مبالغات.. لكن الجو العام للحياة الاجتماعية و السياسية للأسف الشديد كان مرحبا باستنزاف وقت الشعب في متابعة أو مشاهدة هذا العبث إلى أقصى حد .

وليس في هذا الذي نرويه أية مبالغة من أية درجة.. فقد كانت حرية الصحافة قد عادت في عهد السادات و كان أعداء هذه الحرية يدللون على خطورة حرية الصحافة بأن كل الأمور في الحملات والتحقيقات الصحفية تسير وسوف تسير وفق هذا

المنطق المغلوط ، وتحقق أهدافاً مذهلة من زعزعة ثقة الجماهير بقياداتها في جميع المجالات ، ونذكر في هذا المقام أننا لما سمعنا بعض أصداء الاحتجاج على احتفاظ الزوجة إذا كانت حاضنة بشقة زوجها تحمسنا جدا للحديث القائل بأن الرجل مظلوم فهو يجاهد حتى يشتري الشقة ثم تأخذها الزوجة بجرة قلم لأنها زوجة ، وهي الفكرة التي تطورت مع الزمن إلى فيلم جماهيري اسمه "الشقة من حق الزوجة" ، و لا تزال تتطور و تستدعى للتدليل على طغيان السيدة جيهان السادات على الإسلام و على الرجال معا ، ولا ننكر أننا شعرنا بالتألم لهذا الظلم الذي سوف يقع على الرجال ، وكنا في ذلك الوقت لا نزال قبل العشرين : لا تزوجنا ولا عرفنا معنى المسئولية ولا الأبوة.. ذهبنا إلى علماء الدين نسألهم و أذهلنا أن أول من سألناهم أجابنا ببديهة حاضرة بأن قرأ لنا الآية القرآنية الكريمة "ولا تخرجوهن من بيوتهن" ، ولم نكن نعرف ما اذا كان العالم الذي سألناه قد وصله بعد اللغط حول القانون أو مشروع القانون لكننا يومها انتابنا شعور عظيم بالألم من هذا الذي يحدث ولولا أننا سألنا لكنا قد اندفعنا لنكون مشاركين فيه ولظللنا على هذه المشاركة من باب العزة بالإثم على النحو الذي لا نزال نرى صدى له عند كثير من الإسلاميين بعد اكثر من أربعة عقود على هذه القوانين .

ومن العجيب أنك ستجد في تراثنا المعاصر ستجد إشادة بكل شيخ كبير (من طبقة المشايخ عبد الحليم و الشعراوي وبيصار و النمر وجاد الحق) على أنه وقف ضد هذه القوانين و ضد رغبة السيدة الأولى ، و ستجد أيضا هجوما على كل شيخ كبير (من طبقة المشايخ عبد الحليم و الشعراوي وبيصار و النمر وجاد الحق) لأنه سمح بمثل هذه القوانين إرضاء للسيدة الأولى وفي الحالين لا يعدم أصحاب الحملات ما يتطلبونه من دفوع وقرائن .

مأساة الصدى الباقي لجدل مفتعل

لا يزال هذا الجدل حول ما سمي بقانون جيهان أو قوانين جيهان حتى اليوم موجوداً بالصدى إن لم يكن بالصوت، وفي محاولة علمية جادة لدراسة أثر الأفكار المسبقة في توجهات الافراد نحو قضايا الوطن التاريخية تعمدنا منذ عامين أن نسأل

حوالي عشرين من أصدقائنا من أعمار متفاوتة في حوارات ولقاءات متعددة عما يعرفونه عن وجه المخالفة الشرعية في تعديلات قانون الاسرة ، أو قوانين جيهان ، وقد فوجئوا معنا بأنهم كانوا يرددون افتراءات من دون أن يعرفوا انها افتراءات من باب الكيد السياسي ، وبدأوا يستغفرون الله سبحانه عن وقوعهم في رواية وقائع مغلوطة طيلة أكثر من أربعين عاماً.

ومن العجيب أن القاضي الشرعي العظيم الذي كان قد أعد هذه التشريعات كان هو الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ١٩١٧- ١٩٩٦ و الذي عرفه الناس بعد هذا على نطاق واسع وممتد شيخا للأزهر ما بين ١٩٨٢ وحتى ١٩٩٦ وكان في أصوليته أو تمسكه بالنصوص الشرعية يصنف على أنه أكثر أصولية وتمسكا وتشددا من الشيخ عبد الحليم محمود.. لكن الحرب على الرئيس السادات التي موّلتها فعاليات مرتبطة بالمال السياسي العربي وتفرّغت لها كوادر البعث في سوريا والعراق وكوادر الماركسية في موسكو وباريس وبلجراد والمجر واليمن الجنوبية ، و في صحافة لبنان والكويت.. الخ أتمت هذا التشويه للتاريخ على نطاق واسع ، وإذا الذين يكتبون بحب و تقدير عن تاريخ الشيخ عبد الحليم محمود يقعون بسهولة في مثل هذه الأخطاء.

العلاقات المكبوتة مع البابا شنودة

من المساحات التي شهدت توجيه السهام الى الدكتور عبد الحليم محمود ساحة ضيقة كانت مكبوتة الصوت إعلاميا لكن لغطها كان كثير التردد في المجتمعات ، فقد كان البابا شنودة يشكو لكل من هبّ ودب أن الشيخ عبد الحليم محمود لا يعامله بما يستحق ، ولا يحضر أي لقاء يكون هو فيه ، وأن أقصى ما يفعله في موازاة ما يسميه هو بالمؤسستين أن يبعث بمدير فحسب .

وفي حقيقة الأمر فقد كان جزء من علاقة البابا شنودة بالشيخ عبد الحليم محمود يخضع لما يُسمى مبررات الإحساس باليأس من المقارنة، فقد كان الشيخ عبد الحليم محمود مثقفا حقيقيا ودارسا حقيقيا وعالما حقيقيا بينما كان البابا شنودة مع احترامنا و تقديرنا له بمثابة النصف (على أقصى تقدير) من هذا كله ، وكان الشيخ يجيد

الفرنسية كما يجيد الفلسفة أما البابا شنودة التالي له في كل شيء مولدا وعلما وتأهيلا و تأهلا ، فلم يكن قد تلقى تعليماً جامعيا متخصصا في الفلسفة أو اللغة الإنجليزية كما يشيع أنصاره، وانما كان خريج قسم التاريخ الذي هو قريب لوجدانه ، لكنه كان يتظاهر بالفلسفة، ولم يكن أيضا ذا علم عميق باللاهوت، وإنما كان يتظاهر بهذا.

حكمته مع إلحاح الضغوط البابوية الإعلامية

كان البابا شنودة إذا ما قورن بالدكتور عبد الحليم محمود عموميا وسطحيا ما في ذلك شك ، وليس في هذا ما يعيبه ، بل إنه في الحقيقة كان ناجحا بهذه العمومية أو البساطة أو السطحية ، ولهذا فإنه ظلم نفسه بمحاولته الدائبة في موازاة الشيخ في اتصاله بالمجتمع، مع أنه لم يكن يملك بالإضافة إلى طموحه إلا ثرثرة تمجيد بعض من أنصاف المثقفين، وهكذا كان أي صحفي أجنبي متميز ، وقد صادفنا منهم كثيرين ، يسخر بكل ما هو ممكن من محاولات التفلسف التي يجتهد فيها وبها البابا شنودة، وهي محاولات تُحسب له من حيث هو يجتهد ويحاول لكنها لا ترقى إلى أن توصف بأنها محاولات جادة حين يقارن خطابه الفكري بخطاب عبد الحليم محمود الفكري .

البابا شنودة لم يقلد د. عبد الحليم في عنايته بالعلم

على أن المؤرخ المعني بتاريخ العلم يروعه أن البابا شنودة لم يقلد الدكتور عبد الحليم محمود في عنايته بالعلم الحقيقي، وإنما آثر العمل العام و العلم المتصل بهذا العمل العام أي بالعمل في الشارع لا في دار العبادة او العلم ، وربما كان محقا في هذا ، ذلك أنه حينما بدأ الاهتمام بالكلية القبطية فإنه آثر أن يقف عند الحدود التي يقف عندها أقطاب الجماعات السلفية في معاهدهم (غير الأزهرية) ، ومن ثم فإن العلم في الكنيسة المصرية لا يزال متأخراً عن العلم في الكنائس الألمانية على سبيل المثال ، وقد اخترت الألمانية لأنها على الرغم من اختلاف الملة مع الملة الشائعة في مصر حريصة على دعوة المسيحيين المصريين لندواتها العلمية ودراساتها من آن لآخر، أما الكنائس الأمريكية فلا تزال تعيش حقبة التبشير من أجل الاستعمار الجديد، وترى في الكنيسة القبطية حاجزا أو حائطا تسعى لهدمه ، ومن الإنصاف أن نقول إن البابا شنودة بذكائه و فطنته كان واعيا لهذه الحقيقة.

موقفه من فتنة المناهج الدينية الموحدة

كان البابا شنودة كما نعرف مثابرا دؤوبا ولا يكف عن السعي وراء هدفه بكل طريقة، ومن هذا فإنه طلب أن يشترك الأزهر مع الكنيسة في وضع كتاب في الأخلاق يغني عن فكرة تقسيم الطلاب إلى تربية دينية إسلامية وتربية دينية مسيحية.. من الإنصاف أن نذكر أن رأي الشيخ عبد الحليم محمود المعلن كان الرفض بحسم.

الموقف المشرف للدكتور مصطفى كمال حلمي و دعم الرئيس السادات

و من الإنصاف أن نذكر أن أحداً لم يجبره على تغيير رأيه بل بالعكس فإن الرجل الفاضل الدكتور مصطفى كمال حلمي وعده بأن ينضم إليه في الاستقالة إذا صمم على الاستقالة احتجاجاً على مثل هذه الضغوط الباباوية الإعلامية . و من المهم هنا ان ننبه و بصوت عال اصدقاءنا الإسلاميين الذين استكانوا للنقل عما تمت كتابته وصياغته في أجهزة شبيهة بالمخابرات الغربية والبعثية ونذكرهم بالتأمل في حقيقة مهمة وهي انه يستحيل بالطبع أن يكون هذا التهديد من الشيخ ومن الوزير المهذب المتضامن معه قد تم بغير رضا رئيس الدولة الذي كان قادراً على إزاحة الرجلين بإشارة واحدة.

نظرية الطرفين في معادلة الفتنة الطائفية

ومن الطريف أنه فيما بعد وفي محاولة ذكية من أجهزة الأمن السياسي المصري لاستيفاء شكلانية وجود طرفين في معادلة المعارك الطائفية فإنهم من باب التقريب و الموازنة جعلوا البابا شنودة موازيا للمرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين الأستاذ عمر التلمساني .

وهكذا كان المبرر في وجود الأستاذ التلمساني [بالرغم من سماحته المفرطة] في كشوف سبتمبر ١٩٨١ أن قرار اعتقاله اتخذ فقط ليكون موازيا للإجراء الذي اتخذه الرئيس السادات (أو الدولة) مع البابا شنودة، وكنا نتندر في ذلك الوقت بأنه كان الأولى أن يودع الأستاذ التلمساني (أو تحدد إقامته) في خلوة من خلوات الصوفية على نحو ما أودع البابا (أو حددت إقامته) في الدير.

زياراته الإسلامية

سافر الدكتور عبد الحليم محمود الى عدد كبير من الدول كأستاذ زائر لجامعاتها، و للمشاركة في المؤتمرات في السودان و السعودية وقطر والامارات والمغرب والعراق وسوريا وتونس وليبيا و الهند و الفلبين وباكستان وماليزيا وإيران.

ذريته

رزق الدكتور عبد الحليم محمود بابنين أولهما هو الدكتور محمد ١٩٣٠- ١٩٧٩ وقد بدأ دراسته في فرنسا في أثناء إقامته مع والده وحصل على البكالوريا الفرنسية فالتحق بها بكلية الآداب وتخرج فيها ١٩٥٢ وعمل بالسلك الدبلوماسي ، وقد نشرنا نبذة تعريفية عنه في كتابنا " مجلة الثقافة : تعريف وفهرس وتوثيق" ، و زوجته هي رئيسة هيئة الآثار الدكتورة فايزة هيكل ابنة د. محمد حسين هيكل ، أما ابنه الثاني الدكتور منيع عبد الحليم محمود (١٩٤٥ - ٢٠٠٩) فقد وصل مثل والده إلى عمادة كلية أصول الدين جامعة الأزهر (٢٠٠٣ - ٢٠٠٦) فكان هو عميد الكلية العشرين كما كان والده عميد الكلية العاشر، أما بنات الشيخ فقد تزوجن من علماء أفاضل منهم الشيخ الحسيني عبد المجيد هاشم الذي وصل إلى منصب وكيل الأزهر ومنهم الشيخ محمود الشريف وهو أستاذ أزهري معروف أيضاً باسمه المبتكر محمود بن الشريف تمييزا له عن الملحن الشهير محمود الشريف والطبيب الوزير محمود شريف .

مؤلفاته

- أبو الحسن الشاذلى
- أبو ذر الغفاري والشيوعية
- استاذ السائرين الحارث المحاسبي
- أسرار العبادات فى الإسلام
- الإسراء والمعراج
- الإسلام والإيمان
- الاسلام والشيوعية.

- الإسلام والعقل
- الإمام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك
- التصوف الإسلامي
- التصرف لمذهب أهل التصوف.
- التفكير الفلسفي في الإسلام
- التوحيد الخالص
- الحج إلى بيت الله الحرام
- الحمد لله هذه حياتي
- الرسالة القشيرية : سيرة ذاتية ومنهاج ومفاهيم صوفية لأقطاب التصوف الاسلامي
- الرسول صلى الله عليه وسلم : لمحات من حياته
- الرعاية لحقوق الله للمحاسبي
- السنة في تاريخها، وفى مكانتها،
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي
- السيد احمد البدوي رضي الله عنه
- الصلاة أسرار وأحكام
- الطريق إلى الله : كتاب الصدق لأبي سعيد الخراز
- العارف بالله أبو الأنوار شمس الدين الحفني
- العارف بالله بشر بن الحارث الحافي
- العارف بالله سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه
- العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري
- العبادة أحكام واسرار
- الفضيل بن عياض صوفي من الرعيل الأول
- الفيلسوف المسلم
- القرآن في شهر القرآن
- القرآن والنبي
- القطب الشهيد (قطب المغرب) عبد السلام بن بشيش

- الليث بن سعد إمام أهل مصر
- المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي .
- المشكلة الأخلاقية والفلاسفة
- إمام التابعين سعيد بن المسيب
- أوروبا والإسلام
- تاج الصوفية أبو بكر الشبلي حياته وآراؤه
- تربية الناشئ المسلم
- تفسير سورة آل عمران
- دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم
- سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث
- سلطان العارفين أبو اليزيد البسطامي
- سيدنا زين العابدين
- سيدي أبو البركات احمد الدردير
- شخصيات ونصوص
- شرح الحكم العطائية للشيخ زروق
- شهر رمضان
- شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله
- عوارف المعارف
- فاذكروني أذكركم
- فتاوى الامام عبد الحليم محمود
- فتاوى عن الشيوعية
- فلسفة ابن طفيل
- قضية التصوف : المدرسة الشاذلية
- قضية التصوف : المنقذ من الضلال
- كتاب الجهاد
- لطائف المنن للعارف بالله ابن عطاء الله السكندري
- محمد رسول الله

- مع الانبياء والرسل
- مقالات في الإسلام والشيوعية
- منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع
- موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة
- وربك الغفور ذو الرحمة
- يا رب.

اهتماماته الأدبية

كانت للدكتور عبد الحليم محمود اهتمامات أدبية خبا الحديث عنها ، ومن هذا أنه حرص على نشر ديوان الشاعر محمود أبو الوفا وهو وزير للأوقاف ، وقد قصصنا القصة في كتابنا " شعراء الأهواء النبيلة "

ترجمته لأحد أعمال اندريه موروا

ترجم الدكتور عبد الحليم محمود وازن الارواح لاندريه موروا ١٨٨٥- ١٩٦٩ عضو الاكاديمية الفرنسية و قد نشرتها دار الكاتب المصري .

مسلسل عن حياته

انتج عن حياة الدكتور عبد الحليم محمود مسلسل تلفزيوني مصري بعنوان العارف بالله ، من إنتاج ٢٠٠٨

وفاته

بعد عودته من الحج أجرى الدكتور عبد الحليم محمود عملية جراحية توفي بعدها في يوم الثلاثاء ١٧ أكتوبر ١٩٧٨.

العلامة عبد المنعم النمر

الثمرة الناضجة للاتزان الأزهري النشط

الدكتور عبد المنعم النمر (١٩١٣ ـ ١٩٩١) واحد من أبرز علماء الازهر في جيله ، اتصل بالدعوة و التعليم و الثقافة والصحافة والسياسة والإدارة والعلاقات الخارجية والحياة الحزبية قبل ١٩٥٢ و الحياة البرلمانية فكان في كل هذا مقتصدا عاقلا متزنا قادرا على الحضور متمتعا بالتألق من دون أن يسرف على نفسه في شطحات أو تعصبات حتى وإن كرر الدعوة إلى مواكبة العصر بالفتوى، بل إنه كان بمثابة النموذج المصري الوسطي الذي يميل تماما لدعوة كدعوة الإخوان المسلمين لكنه يتحفظ بشدة على الشيعة و لا يعادي الصوفية ولا السلفية وإنما يتعايش مع دعاتهما على نحو ما يتعايش مع الرياضة أو الفن .

قصة لقاء مبكر معه

في يوم حار من أيام صيف ١٩٧٥ التقيت فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر فتكرّم عليّ بفضل راحلته كما يقول الأثر ، و في الطريق بدأ فسألني عما أعرفه عنه ، فقلت له إنه هو مؤسس مجلة الوعي الإسلامي فسألني عن أهمية مجلة الوعي الإسلامي فقلت له إنها ثاني المجلات العربية أهمية بعد مجلة العربي فانتشي انتشاء من لم يكن يتوقع الإجابة ، ومن رزق فضلاً لم يسع إليه ، وسألني علي طريقة الأساتذة الأزهريين عن السبب الذي جعلني أقرن المجلتين معاً مع اختلاف منزعهما فأجبته ببساطة الشاب الصغير أو الفتي البريء الذي ليس في حاجة إلي الزعم بالتأصيل العلمي أو الفكري أو الأيديولوجي، وقلت له : إننا أنا و معظم زملائي نحرص في كل شهر علي قراءة العربي والوعي الإسلامي ، وليس لنا كشباب اهتمام

منتظم مشترك إلا بهاتين المجلتين في المقام الأول ، وإن كنا نطالع مجلات أخري فسألني عما أطالعه أنا بالذات فقلت له إني أطالع كثيرا من المجلات غير المعروفة فألح في السؤال عن مجلات دينية أخرى فأجبته بأني أطالع مثلا بانتظام مجلة غير مشهورة هي الاعتصام ، فتعجب من أن أعرف هذه المجلة التي لم تكن حتي ذلك الحين توزع إلا بالبريد ، فقلت له إن والدي عليه رحمة الله كان علي صداقة مع أكبر كتابها وهو الشيخ مصطفي مجاهد عبد الرحمن عليه رحمة الله ومن هنا فإنه أصبح علي صداقة برئيس تحريرها وصاحب امتيازها الأستاذ أحمد عيسي عاشور .

المقارنة بين المجلتين

سألني الدكتور عبد المنعم النمر : وما الميزة في الوعي الإسلامي عن مجلة الاعتصام التي ربما تكون أكثر رصانة وعلما ؟ فقلت له : هذا هو نفسه الفارق بين مجلة العربي الكويتية وبين مجلتي الثقافة والرسالة ، فتعجب وسألني عن سر تقديري لمجلة العربي و وضعها في مكانة أعلي من الرسالة والثقافة علي الرغم من أن أمثاله من المشايخ (على حد تعبيره) لا يفكرون بهذه الطريقة في تقييم الأمور فأجبته بأن أساتذتنا في مدرسة المتفوقين يحبون أستاذهم الدكتور أحمد زكي ١٨٩٤-١٩٧٥ مؤسس مجلة العربي لأنه أبو الكيمياء ويفخرون بأنه عضو في مجمع اللغة العربية وبأنه مع ذلك كاتب من الطراز الأول فسألني : وهل الوعي الإسلامي مثل العربي؟ قلت : هي حالة خاصة أو مختزلة من العربي ! فكرر إبداء التعجب و قال: نحن لا نعرف في الكيمياء ولا الأحياء ولا الجيولوجيا ، فأجبته لكنكم مثل مجلة العربي تنشرون استطلاعات ، و رحلات ، وذكريات عن مؤتمرات كما تنشرون قصائد وقصصاً وبحوثاً فكرية وتعريفاً بالشخصيات ...ألخ .

و تركني أتدفق في هذه المعاني حتي اصبح وهو العالم الجليل علي عادة علماء الأزهر الراسخين في العلم متردداً بين موقفين أولهما أن يقول بأنهم متأثرون بالعربي ، أو ان يبدا حديثا عن وجود فروق بينهم وبين العربي ، لكنه بحكم ما عرفته بعد ذلك من كرهه للجدل آثر أن يبدو موافقا لي ، وأن يدعو لي مرة واثنتين وثلاثا بفتوح العارفين علي عادة علماء الأزهر ، وأن يشيد باستنتاجاتي مع أني مؤمن بأنه

لم يكن يوافق عليها كلية، لكني لا أزال عند رأيي سواء أكان الدكتور عبد المنعم النمر وزملاؤه قد وضعوا هذا في اعتبارهم وهم يؤسسون الوعي الإسلامي أم أنهم لم يكونوا واعين للتأثر التام بمجلة العربي وهم يصدرون الوعي الإسلامي في ١٩٦٥ بعد سبعة سنوات من صدور مجلة العربي ١٩٥٨ .

الصحافة الإسلامية

ومن الإنصاف أن أقول أن تأثير هذه الروح في مجلة الوعي الإسلامي قد اعتراه شيء من التقلص بعد عصر الدكتور عبد المنعم النمر، والسبب واضح فيما ذكرته من هذا الحوار بيني وبين الدكتور النمر ذلك أن هذا العالم الجليل شأنه شأن علماء الأزهر في جيله لم يكن عندهم من إحساس تضخيم الذات أو تضخمها ما يساعدهم علي أن يحفروا بصمتهم علي كيان مثل كيان مجلة متميزة لتكون بصمتهم وشخصيتهم طابعا دائماً لها حتي في غيابهم، أي أن يبحثوا عن السبل الكفيلة بفرض أخاديد لخط فكرهم بما فيه من مزيج متوازن (أو غير متوازن)علي المجلة من خلال ثوابت لا تحيد عنها المجلة حتي مع تغير ايديولوجيتها..

ببساطة شديدة فإن علماء الأزهر من جيل الدكتور عبد المنعم النمر لم يفعلوا ما فعله الدكتور أحمد زكي حين مكّن للعلم والجغرافيا والرحلات من المجلة تمكينا لم يكن في وسع أحمد بهاء الدين ولا من بعده أن يحيدوا عنه، أما في الوعي الإسلامي فإن المزيج الذي تميز به عبد المنعم النمر من الثقافة والأدب والسياسة والاصولية والتربوية ظهر مرتبطا به هو نفسه من دون أن يحفر لنفسه أخاديد ثابتة في شخصية مجلة الوعي الإسلامي .

لا ينبغي لي أن أترك هذه النقطة من دون أن أشير إلي حقيقة مهمة وهي أن مجلة الوعي الإسلامي لعبت الدور الأكبر في التأثير علي مجلة المجتمع الكويتية التي أصبحت في وقت من الأوقات بمثابة أفضل المجلات الإسلامية لكنها تعرضت لما تعرضت له مجلة الوعي الإسلامي من اضطراب غير مقصود في نسب مكونات السبيكة حيث اختفت من السبيكة عناصر ذات قيمة لا يستهان بها في أي عنصر إعلامي أصيل في عصر الصورة ثم في عصر المعلومات.

لا ينبغي لنا أن ننتقل من هذه المقدمة من دون أن نشير إلى علاقتها العضوية بحديثنا عنه وعن الدور الذي لعبه هو وعدد من أقرانه الأزهريين في العصر الذي سبق عصر المعلومات ، وهو دور يمكن النظر إليه على أنه تنويري كما يمكن النظر إليه على أنه توعوي ، أو تأصيلي لكنه في كل الأحوال دور عضوي لا يقل أهمية عن دور أساتذة الشريعة وأساتذة الفلسفة ، و لست بحاجة أيضا إلي أن أقول إننا لم نصدر فيما ذكرنا عن انطباع سريع وانما عن دراسة متأنية لدور المجلات الثقافية في أكثر من صورة ، منها كتابنا المشهور: " مجلة الثقافة تعريف وفهرست وتوثيق" الذي كان بعض أساتذة الصحافة يظنونه رسالتنا للدكتوراه في الصحافة مع أننا لم نحصل علي تلك الدرجة ولا سجلنا لها ، ومنها أننا تولينا كتابة معظم المداخل المخصصة للمجلات الأدبية في قاموس الأدب العربي (للجامعة الأمريكية) الذي رأس تحريره أستاذنا الدكتور حمدي السكوت ، ومنها أننا اشتركنا في التنسيق لأكثر من مشروع ، أفاد من تراث هذه الدوريات العظيمة .

مجلة الوعي الإسلامي

أسس الدكتور عبد المنعم أحمد النمر هذه المجلة أثناء عمله مديرا لإدارة الدعوة والإرشاد في وزارة الأوقاف بالكويت ، وقد عرّفت المجلة نفسها على غلافها بأنها : مجلة إسلامية كويتية تعمل علي تأصيل القيم والمساهمة في تنمية المجتمعات الإسلامية بخطاب شرعي معتدل ، وصدر العدد الأول من مجلة الوعي الإسلامي في مطلع العام الهجري أي في غرة شهر المحرم لسنة ١٣٨٥هـ الموافق لشهر مايو لسنة ١٩٦٥م مشيرا إلى أنها إسلامية .. ثقافية .. شهرية ، وكانت في ١٠٠صفحة ، وكتب رئيس تحرير المجلة في عددها الأول عن (الهجرة) ، وفي العدد الثاني (من هدي القرآن) ، و(من هدي السنة) .

وعقب صدورها بعث إليها شيخ الأزهر في ذلك الوقت الشيخ حسن مأمون ١٨٩٤- ١٩٧٥ بالتحية فقال ضمن ما قال :

" ....وليس مصدر سرورنا أن مجلة إسلامية جديدة تضاف إلي عشرات المجلات الإسلامية التي تنتشر في سائر البلاد الاسلامية، ولكن لأن رجاءنا كبير في أن تصدر

الوعي الاسلامي، جديدة في منهجها فتعرض الفكر الإسلامي الخصيب النابض بالقوة والحياة معا، ومن جانب آخر تواجه موجات الإلحاد والانحراف التي زحفت إلي عقول بعض الشباب في العالم العربي الإسلامي لتغزو الإسلام والعروبة في عقر ديارهما..."

واشترك في تحريرها الشيخ محمد المدني والدكتور عبدالله العربي والدكتور أحمد كمال زكي و الدكتور علي عبدالمنعم عبدالحميد [الكبير] ، والشاعر محمود غنيم .

مجلة منار الإسلام

وكما أسهم الدكتور عبد المنعم النمر في تأسيس مجلة «الوعي الإسلامي» بجهد وافر، فقد أسهم بعد ذلك في تأسيس مجلة «منار الإسلام» في الإمارات العربية المتحدة، كما أن ثالثة هذه المجلات وهي "الأمة" القطرية كانت تعبيرا رصينا عن التجربة ذاتها .

نشأته وتكوينه العلمي

ولد الدكتور عبد المنعم أحمد النمر في ١٩١٣ في قرية الخرزاني إحدي قري مركز دسوق الذي كان تابعا لمديرية الغربية ثم أصبح تابعا لمحافظة كفر الشيخ، وكان مولده بعد سلفه (في وكالة الأزهر وفي الوزارة) الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار بثلاث سنوات، وفي بعض الروايات أنه ولد قبل ١٩١٣، ومن الطريف أنه درس مثل سلفه في معهد دسوق، وحصل علي الشهادة العالية (١٩٣٩) من كلية أصول الدين، ثم حصل علي الشهادة العالمية مع الإجازة في التدريس من كلية اللغة العربية بعدها بعامين (١٩٤١).

وظائفه

عمل الدكتور عبد المنعم النمر مدرسا بالأزهر والمعاهد الأزهرية، في الأقاليم ثم في القاهرة في معهدها الثانوي العريق ..

عرف الدكتور عبد المنعم النمر بالروح الوطنية منذ صدر شبابه، وبدأ حياته مناضلا ضد الاحتلال البريطاني، وكان من الذين بدأوا شهرتهم بحدث كبير فقد تم ضبط أطنان من الديناميت في بيته وهو لايزال طالبا، واعتقل في ١٩٤٢ كما اعتقل في نوفمبر ١٩٤٨، وظل في زنزانته منفردا حتي يونيو ١٩٤٩، وقد التقي في المعتقل مع الرئيس الراحل أنور السادات في إحدى فترات اعتقالاته.

في الإخوان و السجن في محنة ١٩٤٨

نعرف أنه قبض علي الإخوان في قضية السيارة الجيب يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ ثم أعقبه قرار حل الإخوان في ٨ ديسمبر ١٩٤٨ واعتقال معظم المنتمين لجماعة الإخوان ، وقد ظهرت في قضية السيارة الجيب تقارير عن تفجيرات اتهم فيها سعد مهدي محمد أبو النجا من حزب مصر الفتاة ، وتقارير عن أن الشيخ عبد الرحمن الصوالحي من الحزب الوطني كان يحتفظ ببعض المتفجرات لدي الشيخ عبد المنعم النمر بمنزله بشبرا ، فكانت سببا للقبض عليهما. وتم سجن الشيخ عبد المنعم النمر في زنزانة رقم ٦٠ في الدور ٦ بسجن مصر العمومي، وكان أحمد عادل كمال متهما في قضية السيارة الجيب مجاورا له في الزنزانة رقم ٦١ ، فصارت بينهما صداقة، وكانت روح الشيخ عبد المنعم النمر مرحة فكهة بالرغم من الحبس.

رواية الدكتور أحمد الشرباصي عن معتقل «الهايكستب»

وصف الدكتور أحمد الشرباصي ١٩١٨-١٩٨٠ في "مذكرات واعظ أسير" بعض جوانب تجربة الدكتور النمر في المعتقل فقال :

" وصل اليوم الي المعتقل زميلان كريمان هما فضيلة الأستاذ عبد المنعم أحمد النمر المدرس بمعهد القاهرة ، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن الصوالحي إمام وخطيب مسجد في الإسكندرية ، وقد كانا متهمين في قضية سيارة الجيب بسبب التلفيق والافتراء ، ثم نجاهما التحقيق ، وقد كان لنجاتهما ووصولهما إلي المعتقل هزة وفرحة , وعرضوا عليهما خطبة الجمعة فرفضا "

"وكانت أعمال السجن مقسمة بينهم ، فكان الشيخ عبد المنعم النمر عليه كنس السجن ،والدكتور كمال خليفة يجمع القمامة ويلقيها، والأستاذ طاهر الخشاب يغسل الأطباق ،والأستاذ عمر التلمساني يطهر الحمامات ،والأستاذ عبد الحكيم عابدين يغسل الملابس في الحوض ، و الأستاذ صلاح عبد الحافظ ينظف الحمامات ".

" وقد شاءت الأقدار أن توجد آلة تصوير داخل السجن وتم التقاط صور عديدة خلدت ذكر الدكتور عبد المنعم أحمد النمر كمعتقل مع الأساتذة صالح عشماوي ، وعبد الحكيم عابدين، ومحمد طاهر الخشاب، ومحمد علي الطاهر ، ومحمد حلمي نور الدين ، وصلاح عبد الحافظ ، ومحمد المنياوي، ومحمود لبيب ، وزكريا خورشيد، وكمال خليفة، وعبد الحليم الوشاحي، وسعد شوقي ، ومحمد زايد بلال، وعمر التلمساني ، ومحمود البراوي".

نشاطه في مجلات الإخوان المسلمين

كان الدكتور عبد المنعم النمر من كتاب مجلة الدعوة الأسبوعية منذ أن صدرت في ٣٠ يناير ١٩٥١ بعد عودة الاخوان المسلمين للحياة السياسية في عهد وزارة الوفد الأخيرة ، وقد كتب فيها مع من يسبقونه من العلماء ومن يناظرونه ومنهم المشايخ أحمد حسن الباقوري ١٩٠٧- ١٩٨٥ ، وسيد قطب ١٩٠٦- ١٩٦٦ ، ومحمد الغزالي ١٩١٧ - ١٩٩٦ ، وسيد سابق ١٩١٥- ٢٠٠٠ ، وعبد القادر عودة ١٩٠٦ -١٩٥٤ والبهي الخولي ١٩٠١- ١٩٧٧ ، وصالح عشماوي ١٩١١-١٩٨٣ ، الشاعر عبد الحكيم عابدين ١٩١٤- ١٩٧٦ ، وعمر التلمساني ١٩٠٤ – ١٩٨٦ ومصطفى مشهور ١٩٢١-٢٠٠٢ ومحب الدين الخطيب ١٨٨٦-١٩٦٩ ود. محمد فتحي عثمان ١٩٢٨- ٢٠١٠ ، ود. عبد العزيز كامل ١٩١٩- ١٩٩١

احتجابه بعد حادث المنشية

كان الدكتور عبد المنعم النمر من انصار الرأي القائل بضرورة اختفاء الامام الهضيبي من المشهد الاخواني : " مما سمعته من صديقي مرة : إذا لم يتفق الإخوان علي كلمة سواء معنا ويبتعدوا ... فإننا لن نرحمهم وسنتخذ معهم أقصي عوامل

التأديب ، كانت هذه تزعجني وتقلقني علي مصير الدعوة ...لكني ما كنت أستطيع أحكي هذا الإنذار، وكنت أعوض كتماني له بمزيد من الإلحاح علي بعض أعضاء مكتب الإرشاد ، ومن أصدقائي الذين يتجاوبون معي ويعرفون مدي إخلاصي للدعوة أن يجمعوا كلمتهم ويحكموا خطواتهم ، وكان السبب في هذه الخسارة كلها تعاظم خوف الحاكم المستبد من أن يخدش الإخوان حكمه أو يظنوا أنه ضعيف أمامهم ، فاشتد وعنف في بطشه بهم إلي حدّ لم يقع حتي من المستعمرين أعداء الوطن والوطنيين" .

عمله في خارج مصر

عمل الدكتور النمر مبعوثا للأزهر في الهند، كما عمل فترة طويلة في الكويت مديرا للدعوة والإرشاد، و انتدب للإشراف علي دورات تدريبية لإعداد الأئمة والوعاظ والدعاة في دول الخليج .

مواصلته لدراساته العليا

كان الدكتور عبد المنعم النمر من الذين واصلوا الجهد في الدراسات العليا الموازية لدراسات الجامعات المدنية، أي أنه لم يواصل الدراسة في درجة العالمية من درجة أستاذ، وإنما سلك السبيل الآخر حتي حصل علي درجة الدكتوراه ١٩٧٢، بإشراف الدكتور فوزي صالح عباس ،وكانت رسالته عن «أبو الكلام أزاد.. العالم الإسلامي، والمصلح الديني الكبير».

عودته لمصر

مع أوائل السبعينيات عاد الدكتور عبد المنعم النمر بصفة نهائية إلي العمل في مصر وعين مديرا للبعوث في مجمع البحوث الإسلامية (مارس ١٩٧٠)، و أمينا عاما مساعدا للمجمع ، وفي هذه الفترة شن حملة صحفية شعواء علي الشيوعية، وتواكبت حملته مع موقف الدولة من ناحية، ومع موقف الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود المناهض للشيوعية من ناحية أخري.

مناصبه القيادية في عهد السادات

عين الدكتور عبد المنعم النمر مديرا عاما للتفتيش في الأزهر (١٩٧٧)، وبعدها اختير وكيلا للوزارة لشئون المعاهد الأزهرية وهو المنصب الأزهري الموازي لوزير التربية والتعليم وقد بدأ سياسة علنية من الإصلاح في مناهج التعليم الأزهري العام في الأزهر و دعا الى ضرورة تخليص الكتب الازهرية من الاسرائيليات ومن العجيب ان دعوته هذه تواكبت مع كامب ديفيد ، و كان من الواضح انه يسابق الزمن وإن لم يمهله سن المعاش فقد أحيل إلي المعاش (صيف ١٩٧٨) ونجمه لامع.

وكالة الأزهر بنهاية عهد الدكتور عبد الحليم محمود

فلما اختير الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر لتولي الوزارة (أكتوبر ١٩٧٨) قبيل وفاة الشيخ عبد الحليم محمود، خلفه الدكتور عبد المنعم النمر في وكالة الأزهر بعد أن كان قد وصل الخامسة والستين ، علي الرغم من أنه لم يكن، فيما هو مشهور للعامة ، من أنصار الدكتور عبد الحليم محمود وسياساته، ومن الانصاف ان نشير الي أنه كان حريصا على أن يبدي اعترافا واضحا و متكررا بأنه أصبح يزداد اقتناعا بسياسات الشيخ عبد الحليم محمود مع الأيام.

توليه الوزارة

ظل الدكتور عبد المنعم النمر يتولى منصب المشيخة بالنيابة حتي عين الشيخ بيصار شيخا للأزهر، و عين هو وزيرا للأوقاف (يناير ١٩٧٩) ، و كان هذا في أثناء وزارة الدكتور مصطفي خليل الأولي، وظل يشغل هذا المنصب في وزارة الدكتور مصطفي خليل الثانية (١٩٧٩) وحتي استقالت الوزارة (مايو ١٩٨٠) وخلفه الدكتور زكريا البري في وزارة الرئيس السادات الأخيرة .

الإصلاح الإداري في هيئة الأوقاف المصرية

كان الدكتور عبد المنعم النمر من أكثر مَنْ تولوا وزارة الأوقاف حرصا علي تنظيمها ، وقد مضي خطوات واسعة في تنظيم هيئة الأوقاف، مما دفع العمل فيها

خطوات مثمرة, وكان علي رأس اهتماماته محاربة استغلال الأوقاف، وقد بذل في هذا الشأن جهدا مكثفا.

إحياء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وفي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، واصل الدكتور عبد المنعم النمر المسيرة التي بدأها سلفه غير المباشر الشيخ الشعراوي في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية متصديا لما سمي بالفساد الإداري ، وصمم علي تبعية المجلس تبعية كاملة للوزارة، وأعاد صياغة العمل في المجلس علي أسس إدارية منضبطة، وعهد بمنصب الأمين العام للمجلس إلي رجل من رجال القضاء ذوي البصر بأمور الدين والتفكير الحر والإدارة والقانون في الوقت نفسه ، وهو الدكتور جمال الدين محمود نائب رئيس محكمة النقض ، وكان الدكتور النمر حريصا علي المداومة في المجلس مرة علي الأقل في الأسبوع لمتابعة مشكلاته، وتثبيت نظمه، وحضور اجتماعاته، وهو تقليد الذي تمسك به بعض خلفائه.

توفير كتب ترجمة معاني القرآن الكريم في الفنادق

كان الدكتور عبد المنعم النمر مهتما بمشروع طبع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية بأعداد كبيرة، وهو ما لم يتم قبل ذلك في مصر، وقد اختار الترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن لمولانا عبد الله يوسف علي، وأعلن عن تبرع أهل الخير بربع مليون جنيه لتنفيذ هذا العمل، وكان يأمل أن يتيح نسخة من القرآن في غرف النزلاء بالفنادق ، علي نحو ما يوجد الكتاب المقدس في فنادق بلاد الغرب، وقد توسعت الدول الإسلامية فيما بعد في هذه الخطوة .

لجان تقنين الشريعة الإسلامية في مجلس الشعب

أسهم الدكتور عبد المنعم النمر مع الدكتور صوفي أبو طالب في تكوين لجان تقنين الشريعة الإسلامية في مجلس الشعب. وحاول أن يشترك في مقاربة أزمات الشباب والجماعات الإسلامية علي نحو سياسي، فلم تساعده سطوة الدولة العميقة في نهاية السبعينيات، ويروي أنه طلب إلي الرئيس السادات علانية أن تصاغ برامج

الإذاعة والتليفزيون في إطار أخلاقي، فأجابه الرئيس السادات إلي طلبه وقال له : بل في إطار ديني ، و لكن هذا التوجيه سلك مسلكه في اللجان التي يكون عمرها في العادة أطول من عمر الوزير مع كرسي الوزارة.

اجتهاداته العلمية وانحيازه للاجتهاد

وفي السنوات الأخيرة من عمره أولي الدكتور عبد المنعم النمر مسألة الاجتهاد كل اهتمامه وعنايته ودعا إلي ضرورة فتح باب الاجتهاد ونبذ التقليد ،وكانت له كثير من المواقف العقلية مما يستحق التقدير.

انحيازه للاجتهاد في المعاملات المصرفية

وقد تعرض الدكتور النمر للهجوم التقليدي بعد أن رفع راية الاجتهاد في المعاملات المصرفية مؤيدا شهادات الاستثمار التي أقربعضها مجمع البحوث الإسلامية بعد رحيل الشيخ بسنوات، وفي قضايا فقهية من قبيل ضرورة الاعتماد علي الحساب في تحديد أوائل الأشهر القمرية . ومن الإنصاف أن نقول إنه حاول الدعوة الى الاخذ بالاجتهاد كثيرا من دون ان يلتفت الى الحاجة المؤسسية لأكاديمية فقهية متحررة من قيود البيروقراطية وحسابات المناصب . لكنه على كل حال لم يمض في سبيل يخدع فيه نفسه برضا الناس، وفي الواقع أنه لم ينل رضا كثير من الناس.

عضوياته في المجالس العليا للثقافة والصحافة

بعد خروج الدكتور عبد المنعم النمر من الوزارة ظهر نشاطه وحضوره عضوا في المجلس الأعلى للثقافة، وعضوا في المجلس الأعلى للصحافة. وكان الشيخ النمر يمثل في هذين المجلسين دور عالم الدين صاحب المقعد المتقدم والمؤثر والمرهوب عن احترام وتقدير ، بالإضافة إلي أدواره في مجمع البحوث الإسلامية، والمجالس القومية المتخصصة، ومجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون

دوره الحاسم في إيقاف مهاترات السياسة

في بداية عهد الرئيس حسني مبارك كان للدكتور عبد المنعم النمر، موقف وطني و سياسي بارز، اشترك فيه معه صديقه الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي ، إذ كانا معا صاحبي الخطوة الإيجابية المسئولة التي حركت المجلس الأعلى للصحافة في أعقاب صدور كتاب «خريف الغضب» لمحمد حسنين هيكل ومقالات يوسف إدريس التي وصفت حرب أكتوبر بأنها تمثيلية ... ، وانتهي الاجتماع ببيان وطني اللهجة والمضمون تضمن إظهار الامتعاض من الاسفاف من دون وقوع في التشنج أو الاسفاف المضاد مكتفيا بالأسلوب الراقي الذي كان كافيا لوقف المهاترات..

إعجابه بالإمام الشهيد حسن البنا و ثناؤه عليه

قال الدكتور النمر : " لقد كان المرحوم حسن البنا طيب الله ثراه من أقدر الناس علي قيادة الحركة الدينية وتجنبها الصدام الذي يعوق حركتها أو يقتلها في مهدها وظروف نشأتها ، فاستطاع في سنين قليلة أن يكون حوله ذخيرة من شباب مصر ويُسلِّحهم بالإيمان والبصيرة به ، ولم يكن هو متعجلا ، وإن تعجل بعض الشباب حوله ، ولكنه كان يخطو بأناة ، ويكسب كل يوم أرضا جديدة أو قلوبا جديدة بدعوته الهادئة المقنعة ، ولو أن بعض الشباب حوله لم يتعجلوا الأماني ، ولم يخطوا خطوة أوسع من قدرتهم .. ولم يلجئوا إلي القوة وإلي القتل والاغتيال لبعض المصريين لكان خيرا وأحسن حالا ، وكم كنت في موقف خارج إطارهم التنظيمي وموقفي القلبي معهم في دعوتهم واطلاعي بحكم التوافق أو التلاقي القلبي علي كثير مما كان يجري داخلهم وعلي الكثير أيضا مما كان يمكن أن يتعرضوا له كنت شديد الإشفاق عليهم جميعا وعلي الحركة الإسلامية التي بعثها وقادها حسن البنا ".

ثناؤه علي موقف الإخوان من قضية التكفير

كان الدكتور عبد المنعم النمر دائم الثناء علي موقف الإخوان من قضية التكفير وقيامهم برفض ذلك الفكر والرد عليه بكتب متنوعة ، وبالأدلة القاطعة علي عدم تكفير المسلم .

انتقاده الخوميني و ثورة ايران وانتقاده للشيعة

انتقد الدكتور عبد المنعم النمر أداء الامام الخوميني و الفكر الشيعي في مواضع كثيرة من كتبه ، وفي كتابه (حديث إلي الشباب) كتب تحت عنوان : (الخوميني وفتنته وخطره) فوجه كثيرا من الانتقادات المبكرة للشيعة منوها بفساد رأيهم في الصحابة وغيرهم من المسلمين، وكان الدكتور عبد المنعم النمر من الشجاعة بحيث انفرد وحده بأداء هذا الدور قبل أن تتبناه الدول العربية لأسباب سياسية كانت ذروتها في الحرب العراقية الإيرانية .

مشاركته في الشحن المعنوي في الحرب العراقية الإيرانية

وفي منتصف الثمانينيات اشتهر عن الدكتور النمر موقفه الصارم في تصديه للفكر الشيعي الذي قيل إنه بدأ تصديره إلي الخليج والعالم العربي بعد ثورة الامام الخوميني، وهي المعركة لتي توجها بإصدار كتابه «الشيعة ، المهدي، الدروز.. تاريخ ووثائق،» وهو الكتاب الذي نُشر علي نطاق واسع.

رحلاته الخارجية

زار الدكتور عبد المنعم النمر تونس اكثر من مرة فشارك في مؤتمر حول الإسلام وتحديات العصر ، نظمه مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية ، و نال إعجاب واحترام وتقدير كل من حضر هذا اللقاء. كما شارك في مؤتمر دعت إليه رابطة الجامعات الإسلامية والمجلس الإسلامي الأعلى حول قدسية الحرمين .

عضويته في مجلس الشعب

كان الدكتور عبد المنعم النمر واحدا من الأعضاء العشرة المعينين في مجلس الشعب (١٩٨٧)، وقد ترأس لجنة الشئون الدينية بالمجلس.

جائزة الدولة التقديرية في الآداب

فاز الدكتور عبد المنعم النمر بجائزة الدولة التقديرية في الآداب (١٩٨٥) في العام الذي فاز بها معه الدكتور عز الدين إسماعيل، وكان أول عالم أزهري من العاملين في مجتمع الأزهر ينال الجائزة في الآداب، وذلك قبل أن يفوز بها أول أستاذ للأدب في الجامعة الازهرية وهو الدكتور محمد السعدي فرهود في ١٩٩٣ ومن الانصاف ان نذكر أن علو بيان الدكتور عبد المنعم النمر ، وكثرة إسهاماته في الكتابة للصحف في خارج مصر وداخلها كانا كفيلين بأن يلفتا النظر إلي قدراته الأدبية المستحقة للتقدير، ومن الجدير بالذكر أن أربعة من علماء الأزهر كانوا قد فازوا بها في العلوم الاجتماعية حتى ذلك الوقت : وهم المشايخ علي الخفيف وعبد الجليل عيسي و حسنين مخلوف ، أحمد حسن الباقوري الذي فاز بها في نفس العام الذي فاز فيه الدكتور النمر بجائزة الآداب.

ذكرياته

نشر الدكتور عبد المنعم النمر مقالا في ذكري مرور أربعين يوما على وفاة السادات كان مقاله هذا حافلا بالذكريات والايضاحات التاريخية المهمة ، ولا نزال نبحث عن نسخة من هذه الصحيفة ، و كتب الدكتور عبد المنعم النمر فيما بعد ذلك أيضا مقالا ضمّنه أسباب خروجه من الوزارة [نشر المقال في ٢٨ يوليو ١٩٨٣] متضمنا شكواه مما تعانيه الأوقاف من الرغبة في الاستيلاء عليها من الوزارات والمحليات.

من رثاء الدكتور صوفي أبو طالب له

«عرفت فيه عاملا مجتهدا من القلائل الذين يستطيعون تطويع الأمور المعاصرة لأحكام الفقه الإسلامي، وهو يمثل مدرسة فقهية من المجددين التي بدأت بالشيخ الإمام محمد عبده».

وقال الدكتور محمد حسن الزيات في رثائه

«تميز (أي الدكتور النمر) بقدرته علي الإقناع بأن الإسلام دين كل زمان ومكان».

رسالته للدكتوراه

- "مولانا أبو الكلام أزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند ، "١٩٧٢.

مؤلفاته مرتبة أبجديا

- أحاديث الرسول وكيف وصلت إلينا ؟
- إسلام لا شيوعية .
- الاجتهاد بين الماضي والحاضر .. ضروراته ومظاهره الآن .
- الاجتهاد.
- الإسلام والشيوعية والدين.
- الإسلام والغرب وجها لوجه
- الإسلام والمبادئ المستوردة .
- البابية والبهائية
- الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغزاء علي مر القرون .
- الدين والحياة .
- الشيعة.. المهدي ..الدروز، تاريخ ووثائق .
- الماركسية بين النظرية والتطبيق .
- المساواة في الإسلام والمدنية الغربية .-
- إلي الشباب في الدين والحياة .
- بدء الشهور القمرية بين السنة والاجتهاد .
- بين السنة والتشريع .
- تاريخ الإسلام في الهند.

- حصاد القلم .
- حضارتنا وحضارتهم (في سلسلة كتابك).
- خواطر في الدين والحياة .
- شخصية المسلم كما يصنعها الإسلام .
- علم التفسير .
- علوم القرآن .
- كفاح المسلمين في تحرير الهند .
- مشاكلنا في ضوء الإسلام .
- من هدي الرسول .
- من هدي القرآن .
- من وحي الإسلام والأحداث .
- نظرات في كتاب الله : تفسير جزء الأحقاف وقد سمع .

تكريمه

نال الدكتور عبد المنعم النمر كثيرا من التكريم والتقدير الذي يستحقه ، ومنح أكثر من وسام ، فحصل علي وسام الجمهورية من الطبقة الثانية ووسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى .

وفاته

توفي الدكتور عبد المنعم النمر ٣ يونية عام ١٩٩١ عن ٧٨عاما .

العلامة سيد سابق

الذي يسر علوم الفقه للجماهير المسلمة

مكانته في الثقافة الإسلامية

بعيدا عن التحزب و التحزب المضاد و بعيدا عن السياسة والكياسة معا ، و انطلاقا من منهج تاريخ العلم وفلسفته فإننا نستطيع أن نقول إن الشيخ سيد سابق (١٩١٥ ـ ٢٠٠٠) كان أول نموذج لعلماء الشريعة الإسلامية الذين اتصل عملهم بالمجتمع عن طريق الصحافة، فقد مكنته سلسلة كتاباته الفقهية من الوصول إلي جمهور عريض من القراء لم يقف عند حدود الجماعة التي مارس فيها نشاطه المنهجي و الممنهج في تعريف أعضائها بالفقه والإفتاء وإنما جعله هذا التواصل بمثابة مرجع للقراء الذين يبحثون عن إجابات مباشرة علي أسئلتهم الفقهية بعيداً عما يتم تناقله بالتلقين والتعلم (المدرسي) من صور أداء العبادات علي الوجه الأمثل علي سبيل المثال، ومن ثم فقد جعله هذا التواصل أيضا بمثابة مرجع للقراء الذين يبحثون عن إجابات مباشرة علي أسئلتهم الفقهية بعيداً عن المذهبية، وما قد نسميه مذهبية المذهبية نقصد بها تلك الطريقة المعهودة في العلم و المتمثلة في النقل الأمين عن كتاب من كتب المذاهب يتعلق به ويرتبط به من درس عليه أو درس فيه من العلماء، كما هو معروف مثلا عند فقهاء الحنفية المعاصرين من النقل عن حاشية ابن عابدين ، و هو أسلوب مطروق ومأمون يجعل العالم يعتبر الكتاب الذي ارتبط به في منزلة المرجع الوحيد للإفتاء في كل ما يعرض عليه.

لكن الشيخ سيد سابق جاء في عصر ازدهار توظيف المطبعة لخدمة الدعوة الإسلامية ، وهو ما تم من خلال التنامي في توظيف الصحافة في المقام الأول قبل عصر الكتاب الجديد، وهكذا فقد كانت كتابات الشيخ سيد سابق المبكرة في مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية بمثابة الباب الذي فتح اتصال الجمهور بعلمه وبأسلوبه المباشر المبسط المعتمد علي كتب الفقه المرتبطة بالحديث.

سيد سابق لم يخرج عن الترتيب الكلاسيكي

نحن نعلم أن الدراسة الأزهرية اختارت منذ زمن بعيد الاعتماد على منهجية ذكية تنحو إلي تدريس مقررات الحديث النبوي من خلال التبويب الذي تأخذ به كتب الفقه، أي أن تبدأ بالطهارة ثم الصلاة، وهكذا.. وفي الحقيقة فإن الشيخ سيد سابق لم يخرج عن هذا الترتيب الكلاسيكي فيما كان قد بدأ يقدمه من الفقه ، بل إنه بدأ بالفعل يفقه الطهارة ، وأخذ يعرض الأحكام الفقهية بطريقة الانتقاء الذكي مما كان قد تم انتقاؤه من قبل ، أي أنه لم يستحدث شيئا جديداً إلا طريقة العرض.

تأثره بالإمامين محمد عبده والمراغي

تأثر الشيخ سيد سابق في أسلوبه (سواء في ذلك إن كان قد دري بهذا أو لم يدر وسواء في ذلك إن كان قد أشار أو لم يشر) بما كان الشيخ محمد مصطفي المراغي ١٨٨١- ١٩٤٥ ومن قبله الشيخ محمد عبده ١٨٤٩-١٩٠٥ قد فعلاه في الأخذ في الفتوي والتشريع من أكثر من مذهب، ومن ثم فقد جاءت كتابات الشيخ سيد سابق أولا (وكتبه ثانيا) غير مرتبطة بمذهب واحد وإن لم تكن مستحدثة لمذهب جديد.

الفقه أعلي وأغلي من أن يخضع للفلسفة

وليس من شك في أن هذا الأسلوب الذي انتهجه الشيخ سيد سابق لا يرضي النزعة الفلسفية ولا المذهبية بل إن بعض من يريدون تحكيم المنطق أو الفلسفة في مثل هذا الأسلوب لا يمانعون في وصفه بالتلفيق اعتماداً علي أنه لا يلتزم بمنطق واحد في جميع المسائل التي يعرضها، ومع أننا الآن وبحكم ازدهار الوعي الإيماني نفهم في يسر أن الفقه أعلي وأغلي من أن يخضع للفلسفة فإن المتأثرين بالمنهج الفلسفي لا يستسيغون مثل هذا المنطق الايماني وهو منطق علمي حتي إن لم يعرف بعض دارسي الفلاسفة أن هذا منطق علمي ، و بالطبع فإننا بحكم تعليمنا و وظيفتنا وممارستنا نؤثر المنطق العلمي والمنطق الطبي على المنطق الفلسفي .

قدرة مقاربته للفقه على الاستيعاب

ومع هذا كله، وبهذا كله أيضا فإن الأستاذ سيد سابق لقيّ من قبول المسلمين (ولا نقول القراء فحسب) قدراً كان كافيا جداً لا لاستمرار أسلوبه فحسب بل ولانتعاش هذا الأسلوب وإقبال الناس عليه، وقد تطورت مقارباته للفقه التي اتخذت عنوان "فقه السنة" تطوراً ذكيا مكّنها من أن تستوعب الفقه كله علي مدي سنوات قصيرة انتهي الشيخ سيد سابق فيها من كتابه ذي الأجزاء الأربعة عشر الصغيرة التي أمكن بعد هذا تجميعها في مجلدات كبيرة.

وقد جاهر الشيخ نفسه بأنه اعتمد علي الكتب التي كانت مقررة في الأزهر بالفعل وأشهرها الكتابان المعروفان "سبل السلام" الذي هو شرح بلوغ المرام"، و"نيل الأوطار "الذي هو شرح "منتقي الأخيار" وكذلك أخذ الشيخ سيد سابق عن المغني لابن قدامة، وعن زاد المعاد لابن القيم.

المحاور العملية الثلاثة التي نجح فيها

وهكذا فإن نجاح الشيخ سيد سابق تمثل في ثلاثة محاور عملية أولها أنه وإن لم ينكر الاستناد إلي أدلة الكتاب والسنة والإجماع، فقد خرج بما دوّنه من أحكام الفقه علي حدود المذهبية ، وثانيها أنه نجح في تقديم الفقه للجماهير بعيدًا عن المصطلحات الفقهية العلمية ، وعن التعليلات الأصولية ، وثالثها أنه نجح في مزج الأحكام بالحكمة فقد كان حريصا بذكاء علي ذكر الحكمة من التكليف، اقتداء بالقرآن الكريم في تعليل الأحكام.

الجنوح إلي التيسير علي الناس

كانت النتيجة الطبيعية لاتباع هذا الأسلوب في مقاربة قضايا الفقه أن بدا الشيخ سيد سابق أميل إلي التسهيل والتيسير علي الناس، وهو الطريق الذي خطا فيه الشيخ القرضاوي خطوات تالية من الترخيص فيما يقبل الترخيص.

حرصه على البعد عن ذكر الخلاف

و كان من مظاهر التسهيل الذي اتبعه الشيخ سيد سابق في منهجه الذي ارتضاه في كتابة الفقه حرصه على البعد عن ذكر الخلاف إلا فيما لا بد منه، فيذكر الأقوال في المسألة، ويختار الراجح أو الأرجح في الغالب، وأحيانًا يترك الأمر دون أن يرجح رأيًا، حيث لم يتضح له الراجح، أو تساوت عنده الأقوال والأدلة، فيري من الأمانة أن يدع الأمر للقارئ يتحمل مسؤولية اختياره، أو يسأل عالمًا آخر، وهذا ما لا يسع العالم غيره.

إيمانه بضرورة الايمان للحياة

ينبغي لنا أن ننبه إلي أن الشيخ سيد سابق لم يكن في فقهه أكاديميا صرفا مرتبط بعلم الفقه من حيث هو علم فحسب لكنه كان علي الدوام واعيا لضورة الإيمان ، وهو يعبر عن هذا المعنى بوضوح في كتابه "إسلامنا" فيقول : "إن قيام الحياة المادية، دون أن يكون لها سند من روح، مدمر لنفسية الإنسان، وفي تدمير نفسيته تدمير للحياة المادية والحياة الروحية معًا ".

نشأته

اسمه بالكامل السيد سابق محمد التهامي ، وقد ولد في قرية اسطنها في مركز الباجور محافظة المنوفية في ٢ يناير ١٩١٥ وتلقي تعليما دينيا تقليديا بدأ في الكتاب حيث حفظ القرآن الكريم ثم التحق بالأزهر و واصل تعليمه حتي حصل علي الشهادة العالية من كلية الشريعة ، ثم الشهادة العالمية مع التخصص في القضاء ١٩٤٧من كلية الشريعة أيضا .

مقارنة سريعة بينه وبين الشيخ الغزالي

كان الشيخ سيد سابق يتدبر الأصول وفلسفة التشريع من خلال استيعابه للشريعة و أحكامها و قواعدها ، وهكذا فإنه كان أميل الى الاستنباط منه إلى الاستنتاج ، أما الشيخ الغزالي فكان يتطلع إلى الشريعة وما تمثله من القانون بعد أن استوعب

الأصول و دلالاتها ، و هكذا فإنه كان كثير الميل إلى تحقيق النجاح الساحق في الاستنتاج و التقرير.

بدايته في الجمعية الشرعية

انضم الشيخ سيد سابق في بداية حياته إلي الجمعية الشرعية علي يد مؤسسها الشيخ محمود خطاب السبكي ١٨٥٧- ١٩٣٣ ، وابنه الشيخ أمين محمود خطاب ١٨٨٤- ١٩٦٨ وتزامل مع خليفته الشيخ عبد اللطيف مشتهري ١٩١٥- ١٩٩٥، فتشرَّب محبة السنة وكان لذكائه أثرٌ في نضجه المبكِّر وتفوُّقه علي أقرانه، حتي برع في دراسة الفقه واستيعاب مسائله، وما إن لمس فيه شيخه تفوقًا حتي كلَّفه بإعداد دروس مبسطة في الفقه وتدريسها لأقرانه.

وكان للشيخ محمود خطاب السبكي أثرٌ عظيم في شخصيته وطريقة تفكيره، ومن ذلك ما رواه في بداية تصاعد الصراع في فلسطين حيث يقول: "... كنا في ريعان شبابنا أخذني الحماس أمام الشيخ السبكي في أحد دروسه فقلت له: ما زلتَ تحدثنا عن الأخلاق والآداب! أين الجهاد! قال: فأمرني الشيخ بالجلوس ، فردَّدت: حتي متي نجلس؟ قال: يا بني إذا كنت لا تصبر علي التأدُّب أمام العالِم فكيف تصبر علي الجهاد في سبيل الله؟ قال: فهزتني الكلمة جدًّا، وظل أثرها في حياتي حتي يومنا هذا.

حرب فلسطين

عرف الشيخ سيد سابق مجاهدًا عسكريًّا في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، وقد تصدَّرت صورته مجلة "الإخوان المسلمين" وهو يتدرَّب علي السلاح في معسكر التدريب المعدّ للمجاهدين.

اتهامه في قضية مقتل النقراشي

بدأ تداول اسم الشيخ سيد سابق علي نطاق واسع في الصحافة مع محاكمات عبد المجيد حسن المتهم بقتل رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي ١٨٨٨- ١٩٤٨ وتردد في الصحف القول بأن الشيخ سيد سابق هو من أفتي بقتل النقراشي باشا ،

ومع هذا فإن المحكمة برأته ،وأخلت سبيله، لكن الروايات الشائعة في الأدبيات المناوئة للإخوان المسلمين تردف ذكر البراءة بالقول بأن القاضي نبهه شفاهية إلي أنه متورط . وكانت الصحف السعدية في ذلك الوقت تلقب الشيخ بـمفتي الدماء .

وعلي كل الأحوال فإن الشيخ سيد سابق سرعان ما اعتقل في ١٩٤٩، ونقل إلي معتقل الطور في جنوب سيناء، وفي المعتقل مارس الشيخ سيد سابق الإمامة والتدريس فكان يعقد حلقات في الفقه بعد صلاة الفجر وقراءة الأدعية المأثورة مؤسسا مدرسة حقيقية ممن استوعبوا فكره وطريقته في مقاربة المسائل الفقهية.

نشاطه في عهد عبد الناصر

من غير المشهور أن الشيخ سيد سابق لم يكن من الذين ظلوا تحت قيادة المرشد الثاني للإخوان الأستاذ حسن الهضيبي، وإنما كان من الذين ابتعدوا عن النشاط الفاعل لكيان جماعة الإخوان المسلمين ، وهكذا تجنب اعتقالات ١٩٥٤، وسرعان ما أصبح من أهم موظفي وزارة الأوقاف طيلة الخمسينيات شأنه في هذا شأن الأستاذ الشيخ محمد الغزالي ١٩١٧-١٩٩٦وأصبح هذان الرجلان مع من يسبقهما في السن والدعوة وهو الأستاذ البهي الخولي ١٩٠١-١٩٧٧ بمثابة أركان العمل العلمي والفقهي في وزارة الأوقاف كلها في عهد وزيرها الشيخ أحمد حسن الباقوري ١٩٠٧-١٩٨٥ ، وقد مكن الشيخ الباقوري لثلاثتهم بطريقة ذكية حتي إن الشيخ سيد سابق كان مديراً للمساجد ثم مديراً للثقافة ثم مديراً للدعوة ثم مديراً للتدريب، كما كان الشيخ محمد الغزالي مديراً للمساجد.

انتقاله من الأوقاف إلى الأزهر

وبعد إقالة الشيخ الباقوري المفاجئة في فبراير ١٩٥٩ بقي الشيخان في الوزارة في مواقعهما المتقدمة لكن عصر الدكتور محمد البهي ١٩٠٥-١٩٨٢ في الوزارة (سبتمبر ١٩٦٢ ـ مارس ١٩٦٤) كان بمثابة عصر تحرش غير مبرر بهما، ومن ثم فقد آثرا الانتقال إلي الأزهر الشريف، وقد عرض الدكتور محمد البهي وجهة نظره في مذكراته التي تدارسناها في كتابنا "العيش في العاصفة" فأشار إلي موقفه

منهما من زاوية بيروقراطية ضيقة كالعهد بوجهات نظره الكارثية (وإن بدت منضبطة) وهي أنه وجد أن الوزارة تشتري نسخا كثيرة من كتبهما!

مجده في عصر السادات

تجاوز الشيخ سيد سابق محنة الإخوان في ١٩٦٥ ثم شهد عصر السادات فنال من اللمعان والتألق ما هو أهل له، لكنه لم يشأ خوض حقل الدعوة الإسلامية الواسع بل لم يشأ أن يتجاوز موهبته المتأكدة في فقه السنة إلي اقتحام مجالات علمية أخري أو ميادين فكرية أخري مما كان متاحاً أمامه لاقتحامه ، ومرحبا به فيها فلم يشارك في الندوات والمؤتمرات والاجتماعات و الاحتفالات و التذكاريات إلا بأقل القليل ، وآثر العمل الأكاديمي في جامعة أم القري مجاوراً لبيت الله الحرام حيث رأس قسم القضاء ثم قسم الدراسات العليا

تدريسه في الأزهر الشريف

وفي الأزهر الشريف كان الشيخ سيد سابق قد تولي في مرحلة من المراحل تدريس الحديث لطلاب كلية أصول الدين.

مكانة الشيخ في علم الفقه

أصبح الشيخ سيد سابق منذ مرحلة مبكرة محل ثقة العلماء الكبار، من أمثال الشيخ عبد الجليل عيسي ١٨٨٨-١٩٨٢ والشيخ محمود شلتوت ١٨٩٣-١٩٦٣ والشيخ محمد أبو زهرة ١٨٩٨-١٩٧٤ فضلا عن الشيخ الباقوري ، وكان قوله فصلا بين المختلفين في المسائل الشرعية. و تخرج علي يديه كثير من الشخصيات العلمية، التي أصبحت ذات صيت وسمعة كبيرة، ومن هؤلاء الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور أحمد العسال والدكتور عبد الستار فتح الله وآخرون من علماء مكة أمثال الدكتور صالح بن حميد .

من تقديم الامام الشهيد حسن البنا لأول أجزاء فقه السنة

"..... من أعظم القربات إلي الله تبارك وتعالي نشر الدعوة الإسلامية، وبث الأحكام الدينية، وبخاصة ما يتصل منها بهذه النواحي الفقهية، حتي يكون الناس علي بينة من أمرهم في عباداتهم وأعمالهم، وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم، وإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر. وإن من ألطف الأساليب وأنفعها، وأقربها إلي القلوب والعقول في دراسة الفقه الإسلامي (وبخاصة في أحكام العبادات، وفي الدراسات العامة التي تقدم لجمهور الأمة) البعد به عن المصطلحات الفنية، والتفريعات الكثيرة الفرضية، ووصله ما أمكن ذلك بمآخذ الأدلة من الكتاب والسنة في سهولة ويسر، والتنبيه علي الحكم والفوائد ما أتيحت لذلك الفرصة، حتي يشعر المتفقهون بأنهم موصولون بالله ورسوله، مستفيدون في الآخرة والأولي، وفي ذلك أكبر حافز لهم علي الاستزادة من المعرفة ، والإقبال علي العلم.

"... وقد وفق الله الأخ الفاضل الأستاذ الشيخ السيد سابق، إلي سلوك هذه السبيل، فوضع هذه الرسالة السهلة المأخذ، الجمة الفائدة ، أوضح فيها الأحكام الفقهية بهذا الأسلوب الجميل. فاستحق بذلك مثوبة الله إن شاء الله، وإعجاب الغيورين علي هذا الدين، فجزاه الله عن دينه وأمته ودعوته خير الجزاء، ونفع به، وأجرى علي يديه الخير لنفسه وللناس".

وجه الحقيقة في رأي الشيخ الألباني في كتاب فقه السنة

من الشائع الذي يحرص كثيرون علي ترويجه و تكراره الآن أن المحدث المعروف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ١٩١٤-١٩٩٩ هو أبرز من انتقدوا كتاب فقه السنة وبخاصة أنه ألف في ذلك كتابًا أسماه (تمام المنة بالتعليق علي فقه السنة) يتضمن ما رآه من الانتقادات والتعقيبات علي الكتاب، لكن الحقيقة هي أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أثني علي الكتاب ثناء بالغا قبل أن يثبت ملاحظاته لكن

هذا الثناء لا يذكر الآن في خضم الحملة علي الشيخ سيد سابق ، وهي حملة قصيرة النظر وان بدت عالية الموجة .

من الجدير بالذكر أن الشيخ الألباني معاصر تماما للشيخ سيد سابق فقد ولد قبله بعام و توفي أيضا قبله بعام .

ثناء الشيخ الألباني في مقدمة تمام المنة على كتاب فقه السنة

يقول أستاذنا المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني :

"..... فإن كتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق من أحسن الكتب التي وقفت عليها مما ألف في موضوعه ، في حسن تبويب ، وسلاسة أسلوب ، مع البعد عن العبارات المعقدة التي قلما يخلو منها كتاب من كتب الفقه ، الأمر الذي رغّب الشباب المسلم في الإقبال عليه والتفقه في دين الله به ، وفتح أمامهم آفاق البحث في السنة المطهرة ، وحفزهم علي استخراج ما فيها من الكنوز والعلوم التي لا يستغني عنها مسلم أراد الله به خيرا كما قال " صلي الله عليه وآله " : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " ، متفق عليه ، وهو مخرج في " سلسلة الأحاديث الصحيحة.

الألباني يرى كتاب فقه السنة ضرورة من ضرورات العصر

" ولقد كان صدور هذا الكتاب ، فيما أري ، ضرورة من ضرورات العصر الحاضر [الذي] تبين فيه لكثير من المسلمين أن لا نجاة مما هم فيه من الانحراف والاختلاف والانهيار وتغلب الكفار والفساق عليهم إلا بالرجوع إلي كتاب الله وسنة رسوله " صلي الله عليه وآله " ، يأخذون منها فقط ومن القران أمور دينهم ومسائل فقههم ، فكان لهذا لا بد لعامتهم من مصدر قريب التناول ، يمكن الاعتماد عليه ، والرجوع إليه حين يقتضيهم الأمر ، ويغنيهم عن المراجعات الكثيرة في الموسوعات العديدة من أجل مسائل قليلة أو كثيرة . فكان أن ألهم الله تعالي الأستاذ السيد سابق فأخرج لهم هذا الكتاب، فقرّب لهم الطريق وأنار لهم السبيل جزاه الله خيرا "

الألباني يحث على اقتناء كتاب فقه السنة

" من أجل ذلك كنت ولا أزال أحض علي اقتنائه والاستفادة مما فيه من السنة والحق، ومنذ صدور الجزء الأول منه من الحجم الصغير القديم ، كل راغب في السنة وناصر للحق ، حتي انتشرت نسخه بين صفوف إخواننا السلفيين وغيرهم في دمشق وغيرها من البلاد السورية وغيرها ..."

تلخيص القرضاوي لنقد الألباني

لخص الدكتور يوسف القرضاوي بعلمه وفهمه مجمل نقد الشيخ الألباني لكتاب فقه السنة فقال أنه يتمثل في أمرين :

الأول: فيما يتعلق بالحديث الذي يستدل به (فقه السنة) وهو ضعيف في نظر الشيخ، وربما يكون هناك خلل في عزوه إلي من عزاه إليه، أو نحو ذلك، وعذر الشيخ سيد أنه ينقل هذه الأحاديث عن كتب السابقين، ولم يبذل جهدًا في تحقيقها وتمحيصها، عملاً بالقاعدة التي تقول: كل علم يؤخذ مسلم من أهله.

والثاني: خلاف في المشرب الفقهي بين الشيخ ناصر والشيخ سيد، فالشيخ ناصر أَمْيل إلي اتباع ظاهر النص، والشيخ سيد أقرب إلي اتباع مقصد النص، والشيخ ناصر لا يبالي بمخالفة جمهور الأئمة المتقدمين، كما في تحريمه الذهب علي النساء، والشيخ سيد يحترم غالبًا رأي الجمهور.

وقد ظهر هذا في التعليق الطويل الذي علق به الشيخ ناصر علي (زكاة عروض التجارة) في فقه السنة، فهو لم يصح عنده الحديث في زكاتها، ولم يأخذ بقول من قال من الصحابة بزكاتها، ولا بقول جمهور التابعين والأئمة الذي هو كالإجماع علي وجوب زكاة التجارة، ولم يأخذ بمقاصد الشريعة التي يستحيل أن توجب الزكاة علي الزارع الذي تثمر أرضه خمسة أوساق، وربما كان مستأجرًا لهذه الأرض، ولا يوجب علي التاجر الذي يملك الملايين شيئًا، إلا أن (تنضّ) أي تُسيّل بلغة عصرنا، ويحول عليها الحول. وقد رددنا (الضمير للشيخ القرضاوي) علي الشيخ ناصر قوله بالأدلة الناصعة في كتابنا (المرجعية العليا للقرآن والسنة).

شهادات الشيخ القرضاوي للشيخ سابق ومنهجه في فقه السنة

" عرفت فضيلة الشيخ سيد سابق أول ما عرفته قارئًا لبعض مقالاته الفقهية في مجلة الإخوان الأسبوعية، ثم للجزء الأول من كتابه في فقه الطهارة، ثم سمعنا أنه قدم للمحاكمة في قضية مقتل النقراشي باشا، حيث زعموا في ذلك الوقت أنه هو الذي أفتي الشاب القاتل عبد المجيد حسن بجواز قتله، عقوبة علي حل الإخوان، وكانت الصحف تلقب الشيخ في ذلك الوقت بـ (مفتي الدماء). والحمد لله، قد برأته المحكمة، وخلت سبيله، ولكنه اعتقل مع من اعتقل من الإخوان في سنة ١٩٤٩م واقتيد إلي معتقل الطور.... عرفت الشيخ وجهًا لوجه في المعتقل، وفي عنبر رقم (٢) الذي كان إمامه الشيخ الغزالي، رحمه الله، وكان الشيخ سيد يعقد حلقات في الفقه بعد صلاة الفجر وقراءة الأدعية المأثورات، كما كان الشيخ الغزالي يعقد حلقات أخري في الدعوة إلي الله ثم عرفته بعد أن خرجنا من المعتقل في ساحة الدعوة إلي الله، وكثيرًا ما زرته في بيته حيث كان يسكن في حارة ضيقة في سوق السلاح، ثم مَنَّ الله عليه فسكن في شقة بجاردن ستي، أظنها كانت ملكًا لبعض اليهود الذين خرجوا من مصر، وذهبوا إلي دولة الكيان الصهيوني.

طبيعة الإشراق في شخصية الشيخ سيد سابق

"وقد عملت معه حين كان مديرًا لإدارة الثقافة في وزارة الأوقاف، وكان الشيخ الغزالي مديرًا للمساجد، وكان الشيخ البهي الخولي مراقبًا للشؤون الدينية، وذلك في عهد وزير الأوقاف المعروف الشيخ أحمد حسن الباقوري. وذلك في عهد الثورة ".

" كان الشيخ سيد سابق رجلاً مشرق الوجه، مبتسم الثغر، فكه المجلس، حاضر النكتة، ومما يحكي عنه أنهم حين قبضوا عليه في قضية مقتل النقراشي، وسألوه عن محمد مالك الذي ضخمت الصحافة دوره، واعتبروه أكبر إرهابي، وقد اختفي ولم يعثروا عليه ، فلما سألوا الشيخ: هل تعرف شيئًا عن مالك؟ قال: كيف لا أعرفه وهو إمام من أئمة المسلمين، وهو إمام دار الهجرة رضي الله عنه؟! قالوا: يا خبيث، نحن لا نسألك عن الإمام مالك، بل عن مالك الإرهابي: قال: أنا رجل فقه أعرف الفقهاء ولا أعرف الإرهابيين.

كان هو المعتمد لدي الإخوان في الفقه

"... كان الشيخ الغزالي ونحن في المعتقل، إذا سئل عن مسألة فقهية يحيلها إلي الشيخ سيد سابق، فقد كان هو المعتمد لدي الإخوان في الفقه، ومع هذا كتب الشيخ سيد في العقيدة (العقائد الإسلامية)، وفي الدعوة (إسلامنا) وغيره من الكتب. ربما انتقد (فقه السنة) بعض المذهبيين المتشددين في اتباع المذاهب، والذين اعتبروا الكتاب داعية إلي ما سموه (اللا مذهبية)، وهي ، كما قالوا ، قنطرة إلي (اللا دينية)

ليس من دعاة اللا مذهبية ، وإن لم يلتزم مذهبا

"وأنا (الضمير للشيخ القرضاوي) أعتقد أن مؤلف الكتاب ، وإن لم يلتزم مذهبًا بعينه ، لا يُعَدُّ من دعاة (اللا مذهبية) لأنه لم يذم المذاهب، ولم ينكر عليها. كما أعتقد أن مثل هذا النوع من التأليف ضرورة للمسلم الجديد، الذي يدخل في الإسلام الواسع دون التزام بمدرسة أو مذهب، وكذلك المسلم العصري الذي لا يريد أن يربط نفسه بمذهب معين في كل المسائل، بل يأخذ بما صح دليله، ووضح سبيله.

" كما انتقد الكتابَ بعضُ العلماء الذين يرون أن الشيخ، وقد تحرر من المذاهب، لم يعطِ فقه المقارنة والموازنة حقها، في مناقشة الأدلة النقلية والعقلية، والموازنة العلمية بينها، واختيار الأرجح بعد ذلك علي بينة وبصيرة. والجواب عن ذلك: أن الشيخ لم يكتب كتابه للعلماء، بل لجمهور المتعلمين، الذين يحتاجون إلي التسهيل والتيسير، سواء في الشكل أم المضمون، وتوخي طريقة التسهيل والتبسيط، وكل ميسر لما خلق له".

شهادة الأستاذ مصطفي مشهور

".... الشيخ سيد سابق له مكانته بين الإخوان المسلمين، ومؤلفاته أثّرت في الإخوان وأثْرتهم وأفادتهم وخاصةً مؤلفه (فقه السنة) الذي كان ولا يزال من المصادر التي يرجع إليها الإخوان، وله أثر طيّب في تربية وتكوين ثقافة الإخوان الفقهية؛ حيث إن الإمام الشهيد حسن البنا قد اعتمد هذا الكتاب واعتبره مرجعًا من مراجع السنة..

فوزه بجائزة فيصل في الدراسات الإسلامية

في ١٩٩٤ نال الشيخ سيد سابق مع الدكتور يوسف القرضاوي جائزة الملك فيصل في الدراسات الإسلامية ، وقد سبقه إلي هذه الجائزة من المصريين الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة (١٩٨٣) و الدكاترة محمد رشاد سالم و الدكاترة مصطفى حلمي و محمد رشاد سالم وفاروق دسوقي (١٩٨٥) ، و الأستاذ محمد قطب (١٩٨٨) ، ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الغزالي نال جائزة فيصل في فرع خدمة الإسلام في ١٩٨٩، وقد سبقه إلي هذه الجائزة من علماء الدين المصريين الشيخ حسنين مخلوف ١٩٨٣ وفاز بها بعده الشيخ جاد الحق على جاد الحق في ١٩٩٥.

قائمة آثاره (بالترتيب الأبجدي)

- إسلامنا
- إلي الإسلام
- الربا والبديل
- العقائد الإسلامية
- تقاليد وعادات يجب أن تزول في الأفراح والمناسبات
- تقاليد وعادات يجب أن تزول في المآتم
- خصائص الشريعة الإسلامية
- دعوة الإسلام
- رسالة في الحج
- رسالة في الصيام
- مصادر الشريعة الإسلامية
- مصادر القوة في الإسلام

وفاته

توفي الشيخ سيد سابق في ٢٧ فبراير ٢٠٠٠ ودفن بقريته اسطنها المنوفية ، وقد أمّ الشيخ محمد السيد طنطاوي شيخ الأزهر المصلين علي جثمانه في صلاة الجنازة.

الشيخ محمد الغزالي

الذي تفلسف فازداد يقينا

وظف التفلسف كمهارة و الفلسفة كأداة

لا نعرف أحدا ممن درسوا الفلسفة وظفها لخدمة الإيمان الديني واليقين الرباني على نحو ما فعل الشيخ محمد الغزالي (١٩١٧ ـ ١٩٩٦) ، وإن كنا نعرف كثيرين في كل اللغات والحضارات ممن وظفوا الأدب لخدمة اليقين ، أما الشيخ الغزالي فقد وظف الفلسفة على نحو ما وظف الكثيرون الأدب ، وربما بأفضل مما وظفوه ، وقد اعتبر الفلسفة مهارة و وظفها فيما تستخدم فيه المهارات القادرة على معالجة النصوص والتراثيات ، ولم يكن مستواه بعيدا عن الفلاسفة وأساتذة الفلاسفة الذين مارسوا الكتابة الصحفية و على رأسهم برتراند رسل ١٨٧٢-١٩٧٠ ، ذلك أنه اعتبر الفلسفة أداة ، و استخدمها فيما تستخدم فيه الأدوات القادرة على بناء موقف وصياغة توجه ، كما أنه نظر اليها على انها مجموعة من الودائع القابلة للصرف و المضاربة والمرابحة واستثمرها على أفضل ما أتيح له . وسوف نوضح هذا المعنى بأن نقارن على سبيل المثال بين خطابه الفلسفي ، و خطاب ثلاثة من المفكرين العرب المعاصرين له . ولا شك في أنه (على الرغم من أي اختلاف مع أطروحاته) يستحق مكانة أرفع من التي وصل إليها لولا أنه كان يكتب بالعربية التي لا تسعف أبناءها بما يستحقون من مجد عالمي ، و لسنا نجد تفسيرا لهذا التميز أفضل من أن نقول إنه اعتبر الفلسفة كذلك أدبا صرفا ، بما في الأدب من جمع بين العلم والفن ، وتعامل معها كما يتعامل مع الأدب ، بالتعلم ، والتدريب ، والاهتداء ، و الاقتداء ، والتماهي والاستشهاد والتطعيم، كذلك فإن الشيخ محمد الغزالي تعامل مع الفلسفة كما يتعامل مع الأدب : بالاستدعاء من رصيد النصوص والمحفوظات ، وكما يتعامل مع الأدب باللجوء المؤمن مع ملكات النقد والموازنة والتحليل الأدبي .

تسميته لأبنائه من قصيدة ولد الهدى

ولعلى أبدأ الحديث عن حياة الشيخ محمد الغزالي بأن أضرب مثلا من علاقة هذا العالم الجليل بالأدب في تعامله مع التراث الحديث ، فقد أنجب الشيخ تسعا فعاش منهم سبع من البنين والبنات ، وقد آثر ان يستقي أسماءهم من قصيدة أحمد شوقي «نهج البردة» ، وهكذا سمى الشيخ أولاده : هدى، وإلهام، وسناء، وعفاف، ومنى، وضياء، وعلاء.

مقارنة سريعة بينه وبين جمال حمدان

من هذه اللمحة العابرة نستطيع أن نشير إلى رأينا المجمل في كتاباته ، وأنه كان نسّاجا وكان يعد غزله لنفسه ، ولهذا جاء منتجه الفكري نسيج وحده ، ونسيج وحده فقط ، وهي مكانة لا تتاح إلا للنوادر الذين يبذلون من أجلها جهدا تتقاصر دونه الهمم.

إذا أردنا أن نقارن الشيخ محمد الغزالي بأحد من معاصريه الذين شغلتهم فكرة الهوية وإشكالياتها فبوسعنا أنه نستدعي الدكتور جمال حمدان ١٩٢٨-١٩٩٣ لنجد النحات عالم الجغرافيا المشغول بالتاريخ في مواجهة النسّاج عالم الدين المسكون بالفلسفة يعبران عن فهمين عميقين و مختلفين للهوية .

مقارنة سريعة بينه وبين فؤاد زكريا وزكي نجيب محمود

كان الشيخ الغزالي قادرا على التوصيف الفلسفي لما يقابله من الظواهر الاجتماعية والسياسية على النحو الذي كان يتميز به الدكتور فؤاد زكريا ١٩٢٧-٢٠١٠ ومن قبله الدكتور زكي نحيب محمود ١٩٠٥- ١٩٩٣ لكنه كان أميل إلى تحكيم القيم في صورتها المرتبطة بالعقيدة لا في صورتها الواقعية المطلقة ، ولهذا بدا وكأنه يريد أن ينظر إلى الواقع من خلال عدسات محدودة المجال بينما كان الدكتور زكي نجيب محمود يحتكم إلى الوضعية المنطقية غير المحددة سلفا وكان الدكتور فؤاد زكريا يتجاوز الرؤى المثالية إلى الواقع بقوته على الأرض ، ومع هذا الذي يبدو من تفوق العالمين الجليلين فقد كان الشيخ الغزالي يتفوق عليهما في القدرة

على الاستشهاد السيكولوجي المحكم بفضل ما وعته ذاكرته المستوعبة من تصوير القرآن الكريم والحديث الشريف للنفس البشرية .

مقارنة سريعة بينه وبين الشيخ سيد سابق

كان الشيخ الغزالي متطلعا إلى الشريعة وما تمثله من القانون بعد أن استوعب الأصول ، و هكذا فإنه كان كثير الميل إلى تحقيق النجاح الساحق في الاستنتاج أما الشيخ سيد سابق ١٩١٥- ٢٠٠٠ فإنه كان يتدبر الأصول من خلال استيعابه للشريعة و قواعدها ، وهكذا فإنه كان أميل الى الاستنباط منه إلى الاستنتاج .

التفريق بينه وبين من ينتمون إلى عائلة الغزالي الجبيلي

من هذه البداية غير التقليدية ننتقل إلى البداية التقليدية في الموسوعات وكتب الطبقات لنشير إلى ما ينبغي أن نشير إليه من أن اسمه هو نفسه اسم مركب، وقد سماه والده هكذا تيمنا بالإمام الشيخ الغزالي ، أما اسمه بالكامل فهو محمد الشيخ الغزالي أحمد السقا، ومن المهم أن نذكر أن السيدة زينب الغزالي ١٩١٧-٢٠٠٥ الداعية الإسلامية والسياسية المعاصرة له ليست شقيقته ولا أخته، وهو خطأ وقع فيه كثيرون جدا حتى عند حديثهم عن وفاته ، وعن وفاتها، ومن الطريف أن أحد أشقائها سمي محمدا وكان شيخا بالوظيفة والتعلم كما كان ذا حضور مجتمعي و شعبي ، وهو ما زاد من اختلاط الأمور وسهل التورط في مثل هذا الخطأ المتكرر، أما لقب عائلتها فهو الجبيلي.

ومن الطريف أن السيدة زينب الغزالي ولدت في ١٩١٧ مثل الشيخ محمد الغزالي لكنها عاشت تسع سنوات بعده .

نشأته

ولد الشيخ محمد الغزالي بمحافظة البحيرة سنة ١٩١٧، وتلقي تعليما دينيا تقليديا والتحق بكلية أصول الدين بالأزهر ، وحصل منها علي الشهادة العالية ، ثم علي الشهادة العالمية في الدعوة والإرشاد ١٩٤٣ .

وظائفه

قضي الشيخ محمد الغزالي معظم حياته المهنية في مصر في مجال الدعوة، وقضي معظم حياته الوظيفية في وزارة الأوقاف في الخطابة و الوظائف الدينية القيادية . وكان من الذين أتيح لهم أن يتأقلموا مع نظام ثورة يوليو بصعوبة متفاوتة في عدة مواقع وظيفية مهمة. وفي هذه الفترة وصل به ترتيب الأمور أنه كان يخطب الجمعة في الأزهر الشريف، ثم انتقل إلي جامع عمرو بن العاص، وتبعته جماهيره، وظل دائمانموذجا للدعوة الهادئة المستنيرة التي تعنى بالتهذيب قبل أن تلقي بالمسئولية على الحكومات حتى إن أكبر موقف عارض النظام فيه كان هو أنه شنت باسمه حملة شهيرة علي تعديلات قانون الأحوال الشخصية (١٩٧٩) .

وكيلا لوزارة الأوقاف

كانت تربط الرئيس السادات بالشيخ الغزالي معرفة قديمة و تقدير متبادل على الرغم مما هو شائع ، وفي أخريات عهده استقبله الرئيس وأعلن عن تعيينه وكيلا لوزارة الأوقاف لشئون الدعوة ، وقد بدا لنا أن الرئيس كان يجهز الشيخ لتولي وزارة الأوقاف ، بعد أن تعاقب عليها رموز عصر السادات بمن فيهم الشيخ الشعراوي ، بيد أن الشيخ الغزالي نفسه كان قد مضى خطوات في استحقاقات أخرى لم تكن تمكنه من العودة إلى العمل في فريق ، وفي حكومة ، وبخاصة إذا كان الفريق الذي سيعمل الشيخ من خلاله في ذلك الوقت بعيدا عن معرفته المباشرة على خلاف ما كان يميزه على مدى عمر طويل من العمل الوظيفي، وفضلا عن هذا فإنه لم يكن قد بلغ سن التقاعد وكان وجوده كوكيل للوزارة في مثل هذا الموقع شبيها بالأمر الروتيني أو الحق الوظيفي الذي لابد منه في السنوات التالية حتى يصل إلى سن التقاعد .

ممارسته للأستاذية الأكاديمية

مارس الشيخ الغزالي أيضا الأستاذية المحكومة بالجدران علي المستوي العربي ، فقد درّس الشيخ الغزالي بجامعة أم القري في مكة المكرمة. كما شارك في تطوير كلية الشريعة بقطر، و خدم الدعوة في قطر خمس سنوات .

دوره الإنشائي في جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بالجزائر

أما إسهام الشيخ الغزالي الأكبر في مجال التعليم الإسلامي ، فكان هو دوره في إنشاء جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بالجزائر، امتدادا متطورا للأزهر الشريف، و يذكر للرئيس الجزائري الثالث الشاذلي بن جديد ١٩٢٩- ٢٠١٢ الفضل في هذا الإنجاز بحبه وتقديره للشيخ الغزالي وقدرته على استضافته

رئاسته للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة.

ترأس الشيخ محمد الغزالي مجلس إدارة المجلس العالمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة.

انضمامه المبكر لجماعة الاخوان المسلمين

علي صعيد الحياة الموازي للمهنة والوظيفة ، انضم الشيخ الغزالي مبكرا إلي جماعة الإخوان المسلمين، وتلمذ تلمذة مباشرة للشيخ حسن البنا الذي أطلق عليه لقب «أديب الدعوة»، وصعد نجمه في هذه الجماعة واختير سكرتيرا لتحرير مجلة «الدعوة» ، كما أصبح في سن مبكرة من أشهر خطباء جماعة الإخوان المسلمين، وقد احتفظ في الوقت ذاته بوظيفته في وزارة الأوقاف.

كان من أبرز كتاب الإخوان

كان الشيخ الغزالي بلا جدال وعلى المدى الطويل ثاني أبرز كتاب الإخوان بعد الشيخ أحمد حسن الباقوري ، ومع كل تقديرنا للمكانة الروحية والفكرية والعلمية لكتاب الإخوان فإن الشيخ الغزالي بدأبه في النثر الفني وارتقاء تقنياته الأدبية والتحريرية يسبق أسماء كبيرة من قبيل الأساتذة الأعلام سيد قطب ١٩٠٦- ١٩٦٦ ، وسيد سابق ١٩١٥- ٢٠٠٠ ، وعبد القادر عودة ١٩٠٦ -١٩٥٤ والبهي الخولي ١٩٠١- ١٩٧٧ ، وصالح عشماوي ١٩١١-١٩٨٣ ، الشاعر عبد الحكيم عابدين ١٩١٤- ١٩٧٦ ، وعمر التلمساني ١٩٠٤ – ١٩٨٦ ومصطفى مشهور ١٩٢١-

٢٠٠٢ ومحب الدين الخطيب ١٨٨٦-١٩٦٩ ود. محمد فتحي عثمان ١٩٢٨-٢٠١٠ ، ود. عبد العزيز كامل ١٩١٩- ١٩٩١.

أزمته مع الإخوان

لكن تجربة الشيخ الغزالي السياسية والفكرية والتنظيمية في جماعة الاخوان مرت بأزمة أدى هو حقها ونال هو أيضا مغبتها ، ومن وجهة نظر تاريخية جامدة ، فقد اختلف علانية مع الأستاذ المستشار حسن الهضيبي ١٨٩١- ١٩٧٣ المرشد العام الثاني للإخوان المسلمين ، و احتدم الخلاف لدرجة أنه ترك جماعة الإخوان في بداية الخمسينيات من القرن العشرين وسجل تجربته في عضويتها في كتاب لم يخل من الهجوم الصريح و الحاد علي بعض رموز الجماعة.

التيقظ لحركة المجتمع من حوله

مثّل الشيخ محمد الغزالي نمطا فريدا من الدعاة الإسلاميين المتيقظين لحركة المجتمع من حولهم، ولو أنه كان صحفيا لكان أولى الصحفيين العرب بمكانة صاحب العمود اليومي الحي الأول و ليكون النظير العربي للكاتب الأمريكي الشهير والتر ليبمان ١٨٨٩- ١٩٧٤ ، فقد كانت لديه قدرة فائقة علي متابعة الصحف اليومية والتقاط الأخبار اللافتة للنظر منها والتعقيب عليها بصورة مباشرة وذكية من مخزونه العقيدي والفكري عن الدين الإسلامي والسياسة الإسلامية.

هضمه لأدبيات أعلام الفكر المعاصرين

نعم .. فقد كان الشيخ محمد الغزالي من أفضل المعقبين والمعلقين علي الأحداث بما أوتي من قدرة علي توظيف أساسيات علمه في التصدي لما ينزغ من احداث ووقائع ومشكلات ، وقد أفادته بلا شك متابعته الدائبة و المحبة لأدبيات أعلام الفكر في الزمن الذي نشأ فيه ، و قد كان علي سبيل المثال يتمثل بقدرات الأستاذ العقاد ١٨٨٩- ١٩٦٤ في التحليل والنقد وتكوين الأحكام كما كان معجبا بأسلوب الدكتور زكي مبارك ١٨٩٢- ١٩٥٢ .

هو مَنْ أطلع المسلمين على مذابح إخوانهم في الحبشة

وقد أثبت الشيخ محمد الغزالي نجاحا باهرا في القدرة علي التميز العلمي والفلسفي في أطروحاته التي قدم بها لما قام به من متابعة القضايا التي تعرض لها قلمه حين كان يتولى التعليق المواكب للأحداث ، وعلي سبيل المثال فقد أجاد عرض مأساة الإسلام بالحبشة، وهو الذي كشف عن مأساة المسلمين في سجون الحبشة، وهو الذي لفت النظر إلي ما حدث حيث خرج من سجن هرر وحده أكثر من سبعة آلاف شخص، ظل بعضهم مقيد الرجلين واليدين علي شكل قوس لمدة أكثر من عشرة أو خمسة عشر عاما، فلما أفرج عنهم لم يعودوا إلي حالتهم الطبيعية، إذ تشكل عمودهم الفقري بهذا الشكل المقوس!.

تميزه في الكتابة والخطابة معا

جمع الشيخ محمد الغزالي بين التميز بقدرات خطابية عالية، إذ كان قادرا علي تحريك الجماهير وأسر العقول بخطبه، وبين التميز أيضا بأسلوب مشرق في الكتابة والتأليف مع القدرة على التجديد والدقة ومع الحرص علي سلامة المنطق، وعلي إظهار روح الفكرة بجمال العرض.

نجاحه في صياغة لغة عصرية

كان الشيخ الغزالي من أكثر المؤلفين الإسلاميين انتباها إلي الكتابة بلغة عصرية في الموضوعات العقيدية وعلاقتها بالسلوك الاجتماعي واليومي للمسلم، و قد جمع في كتابته بين مهارتي تأليف المقال السريع والكتاب المرجعي، ومن هنا جاءته ميزة خلود أعماله على الرغم من انها واكبت أحداثا عابرة في زمنها .

اشتراكه مع الأستاذ سيد قطب في مقاربة الاقتصاد

نأتي إلى المضامين الفكرية في أعماله ، فنبدأ بالإشارة إلى أن الشيخ الغزالي شأنه شأن الأستاذ سيد قطب كان من أوائل الذين انتبهوا إلي الكتابة عن موقف الإسلام من المذاهب الاقتصادية المعاصرة، ومن الفكر الاقتصادي بوجه عام، وكان

انتباههما موازيا لموجات الجدل الفكري التي سادت العالم في هذه الفترة حول المفاضلة بين الرأسمالية والشيوعية. وقد نشر الشيخ محمد الغزالي كتاب «الإسلام والأوضاع الاقتصادية» في طبعته الأولي (١٩٤٧) مركزا علي العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وأفاض في الحديث عن الأسباب الاقتصادية للرذائل المنتشرة في المجتمع الإسلامي، وأرجع أسباب هذه الرذائل إلي الثلاثية المعروفة: «الفقر الكاسح، والجهل الطاغي، والمرض الموغل»، متحدثا عن أوبئة السرقة والزنا والبطالة، ومنتقلا إلي ما تسببه المعيشة الكريمة من ترفع وإباء، وأوضح أنه يقصد بالمعيشة الكريمة معيشة الكفاح المثمر لا معيشة الترف العاطل.

و قد ذهب الشيخ محمد الغزالي إلي أن جوهر العلاج الصحيح متاح في نصوص التشريع الحاسمة، فقد وضح حق الناس في المال، و مكانة الزكاة من الاقتصاد الإسلامي، و مشروعية فرض الضرائب ، ومعنى الصالح العام.

موقفه من الفكرة الاشتراكية

استأنف الشيخ محمد الغزالي هذا التوجه في كتابه «الإسلام والمناهج الاشتراكية» ، فشرح ما يراد بالتأمين الاجتماعي، وتوزيع الملكيات علي السنن الصحيح، وموضع الفرد من الأمة، ومسئولية الأمة عن الفرد، وتحدث عن الملكيات الزراعية في مصر، وانتقد عمل مؤسسات الربا والاحتكار والاستغلال، وشركات التأمين، وحقوق العمال.

بداية تلمسه للطريق الثالث

هكذا توصل الشيخ محمد الغزالي في كتابيه هذين إلي ما عرف عنه من معارضة مبكرة لفكرتي الرأسمالية والشيوعية معا، دون أن يسمي الاسلام طريقا ثالثا . وبعد سنوات أكد الشيخ محمد الغزالي ملامح رؤيته الاقتصادية لمنهج الإسلام ورؤيته الاسلامية لقضايا التنمية الاقتصادية في كتاب ثالث بعنوان «الإسلام المُفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين».. وفيه أثبت الشيخ محمد الغزالي أن للإسلام منهجا عادلا في تحقيق التكافل الاجتماعي، الذي فشلت في تحقيقه المذاهب الأخرى.

الآثار النفسية للرأسمالية والشيوعية

تحدث الشيخ محمد الغزالي أيضا و بذكاء وجداني عن آثار الرأسمالية البارزة في الاستغلال المادي الصارخ، وأرجع إليها ما في الشرق الإسلامي من تأخر وانحطاط، وقال إنها سببت الشلل العقلي لكثير من البسطاء السذج، فأصبحوا يدورون حول ساداتهم كالآلة في المصنع، لا يناقشونهم الرأي أو يقاسمونهم الربح، بل هبطت بنفوسهم إلي مستوي العبيد.

و على اليد الأخرى كان الشيخ محمد الغزالي يتحدث عن الشيوعية علي أنها «الشيوعية الملحدة الكافرة»، مؤكدا على أن الشيوعية تهدم الأصول المقررة في الإيمان بالله، واليوم الآخر، وتجعل العالم قطيعا يقترف المنكرات دون خوف من حساب رباني، إذ كثيرا ما يفلت المجرم من قانون الأرض، ولكن اعتقاده في عدالة السماء يؤرقه ويضنيه، فإذا زال هذا الاعتقاد تحول المجتمع إلي وحوش كواسر ، وفي هذا الاطار كان يلفت النظر إلي أن كبار الشيوعيين يعيشون عيشة كبار الرأسماليين في منازلهم، ويقولون غير ما يفعلون،

لم يتكسب بنقده العنيف للشيوعية

يقتضينا الإنصاف هنا أن نشير إلى أن الشيخ محمد الغزالي كان من القلائل الذين لم يتكسبوا من نقدهم العنيف للشيوعية .

عنايته كالشيخ شلتوت بالطبيعية التشريعية في الإسلام

وعلي نحو ما اشترك الشيخ محمد الغزالي مع الأستاذ سيد قطب ١٩٠٦- ١٩٦٦ في التوجه نحو الدراسة المتعلقة بالجوانب الاقتصادية و الاجتماعية بلغة العصر ، فإنه كان مثل الشيخ محمود شلتوت ١٨٩٣- ١٩٦٣ واحداً من الأفذاذ الذين عنوا بالحديث عن الطبيعة التشريعية للدين الإسلامي، وذلك في مواجهة ما كان متاحا من الاستدراج الطبيعي والمقصود إلي العلمانية.

تفنيده القوي لدعاوى المستشرق المجري جولدتسيهر

ألف الشيخ الغزالي كتابه «العقيدة والشريعة» مستهدفا في المقام الأول نقد كتاب المستشرق جولدتسيهر ١٨٥٠- ١٩٢١ في الموضوع نفسه، وفيه رد الشيخ الغزالي على افتراءات ذلك المستشرق اليهودي المجري ، وعلى سبيل المثال فإنه اهتم اهتما حثيثا بتفنيد دعواه القائلة بأن "الإسلام ليس من صنع محمد، لكنه من صنع الأجيال بعده، وأن رسول الله جاء بتعاليم استقاها من اليهودية والمسيحية حين اتصل بهما". وأوضح الشيخ محمد الغزالي فروقا بين التشريع المدني والمكي، ملخصا ما قرره الفقهاء، ومؤرخو التشريع بشأن هذه الفروق، ومفندا ما قاله ذلك المستشرق بتأثير اليهود في شريعة محمد (!!)

وعلى وجه العموم فإن الشيخ الغزالي هو أفضل من تصدى لهذا المستشرق ، كما أنه هو من قال عن كتابه الشهير: " إنه من شر ما ألف عن الإسلام، وأسوء ما وجه إليه من طعنات"

تصويبه للتوجهات المستهدفة لعصرنة الإسلام

علي صعيد ثالث ، فقد عبرت كتابات الشيخ الغزالي عن وعيه الذكي لخطورة تطويع الفكر الإسلامي للآراء والموجات الوافدة المبهرة، ومن هنا جاءت مواقفه المتميزة في تناول القضايا السياسية والاجتماعية، وقد تعمق موقفه هذا مع كل قضية جديدة تثار، أو مع كل موجة من موجات الإعجاب بالتوجهات الحديثة، وقد تصدي الشيخ الغزالي لبعض محاولات عصرنة الإسلام سياسيا بطريقة تتعارض مع جوهر العقيدة الاسلامية المتكاملة .

رده الشهير على صديقه الأستاذ خالد محمد خالد

وكان أبرز جهود الشيخ محمد الغزالي المشهورة في هذا المجال رده المبكر والعاصف علي صديقه الأستاذ خالد محمد خالد ١٩٢٠-١٩٩٦ ، وقد حظي كتابه «من هنا نعلم» الذي رد به علي كتاب خالد محمد خالد «من هنا نبدأ» بقبول واسع ومستمر، ويذكر التاريخ أن الأستاذ خالد محمد خالد مؤلف الكتاب الأول قد رجع

بعد تجربة طويلة عن كل سطر قاله في كتابه «من هنا نبدأ»، وألف كتابا آخر تحت عنوان «دين ودولة».

شجاعته في مواجهة التعصب ضد المسلمين

وفي صعيد رابع ، كان الشيخ الغزالي من الشجاعة ، بحيث تناول قضايا التعصب بمقارنات ذكية بين سلوك الديانات المختلفة في كتابه «التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام»، وقد تحدثت فصول هذا عن الإسلام بين العصبية والتعصب، وعن المسلمين وأهل الذمة، وعن مسلك عمر الفاروق في معاملة أهل الكتاب، وعن الفتح الإسلامي في العصر الأول، وعن أسلوب التوسع والمعاملة في تاريخ الديانتين. وتحدث عن دخول المسيحية في مصر، وكيف دخلها الإسلام، مسجلا موقف الصليبيين من نصاري الشرق، وموقف الأقباط من الاحتلال الفرنسي

رده على دعاوى الكاتب اللبناني جاك تاجر

كتب الشيخ محمد الغزالي كتابه «التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام» لينقض به المفتريات التي أتى بها كتاب " أقباط ومسلمون: منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢" للكاتب اللبناني جاك تاجر ١٩١٨- ١٩٥٢ ، وقد نشر الشيخ الغزالي كتابه ، كما قال ، علي مضض، لأنه لا يريد أن يكون كتابه دافعا لإثارة الثوائر بين عنصري الأمة المصرية. ومن العجيب أن نقد الشيخ الغزالي لهذا الكتاب هو كل ما بقي من ذكر لذلك لمؤلف الذي مات في شبابه بسبب السقوط تحت عجلات المترو ، فلما بدأت الحملات الممولة ضد الإسلام استدعي هذا الكتاب ليعاد طبعه على نطاق واسع نكاية في الإسلام، بيد أنه لم يترك أي أثر من قريب و لا من بعيد .

عقيدة الإسلام في عصر المادية

علي صعيد خامس انتبه الشيخ محمد الغزالي إلى دور الداعية في ميدان جلاء عقيدة الإسلام في عصر المادية . وعلي حد الوصف الذكي للدكتور محمد رجب البيومي فان الذي دفع الشيخ الغزالي إلي تأليف كتابه «عقيدة المسلم» كان هو ما لمسه من قصور في توضيح عقيدة المسلم للجمهور المسلم وغير المسلم علي حد

سواء، ، حيث اقتصرت معرفة هذه العقيدة علي ما جاء في كتب علم الكلام، المسمى بعلم التوحيد، وكان رأي الشيخ الغزالي أن «هذه الكتب لم تعد تؤدي رسالتها في إحياء العقيدة، وإذكائها في نفس المسلم علي وضع يجعلها تترقرق دما في عروقه، لأن هذه الكتب تعرضت لآفات كثيرة، أهمها أنها سلكت سبيل الفلاسفة في تقرير حقائقها الإيمانية، فجعلت المنطق الأرسطي سبيل التدليل وآية الإقناع ، وهكذا قدم الشيخ محمد الغزالي في كتابه «عقيدة المسلم» فصولا من علم التوحيد بصورة جيدة وبأسلوب جديد، يقنع العقل، ويغذي العاطفة معا، معتمدا في هذا علي كتاب الله وسنّة رسوله، وعلي المشاهدات المحسوسة في السماوات والأرض".

تجليته للجوانب الفلسفية في عقيدة الإسلام

وفي مواضع عديدة تحدث الشيخ محمد الغزالي عن رأي الدين الإسلامي في مسائل القضاء والقدر والجبر والاختيار، ومجال العقل ومجال الوحي، وموقف الاستشراق من علم الكلام، وأبان عن دوافع الاستشراق السيئة في تعقب أقوال المبتدعة والمنحرفين، ليلصقها بالإسلام لصقا مكرها كله احتيال وافتعال.

عنايته بالتربية في معناها الواسع

و شأنه شأن كل دعاة الإخوان ، فقد انشغل الشيخ محمد الغزالي بقضية التربية، واثبت تمكنه من فهم القيم التربوية وتقديمها في كتابه «خُلق المسلم» ، وفيه حديث عن الأخلاق من زاوية الإسلام، دون تعويل على آراء الفلاسفة وعلماء الأخلاق، وانما هو يتحدث عن الأخلاق نفسها لا عن أخلاق جديدة يبتكرها، وقد أثبت ثراء الإسلام بالنظريات البانية للأخلاق دون حاجة إلي الشطط في تفسير النصوص.

رأي الدكتور البيومي في كتابه «فقه السيرة»

ويأتي في هذا الاطار كتابه «فقه السيرة»، فهو في رأي الدكتور محمد رجب البيومي يمثل كتابا جامعا بين منطق العقاد وروحانية الشيخ الغزالي الداعية «المتصوف»، وقد أردف الدكتور البيومي بأنه يقول: «المتصوف» عن عمد، لأن تصوف الشيخ الغزالي تصوف عملي مكافح، يدفع إلي التأمل، ويدعو إلي البناء.

كان مؤرخا منشئا صاحب رؤية

لم تقف علاقة الشيخ محمد الغزالي بالتاريخ عند حدود روايته الأمينة ولا عند حدود الاستفادة من دروسه ، لكنه كان مؤرخا منشئا صاحب رؤية ورأي ونقد ، فقد نشر مبكرا آراء شجاعة في أداء مصطفي كمال أتاتورك ١٨٨١-١٩٣٨ ، إذ صوره جبانا يحارب أمته ، ويقضي علي دينها ليظفر بالبقاء في الحكم بدلا من أن يحارب دول أوروبا، وكذلك فعل مع تاريخ الرئيس عبد الناصر. وفي هذا السياق كان حديثه المبكر عما رصده من ظواهر الاستعمار الداخلي المنكفئ علي اللذات والأنانية.

كان دارسا متفقها في تاريخ الأديان

كان الشيخ محمد الغزالي دارسا متفقها في تاريخ الأديان، وبخاصة الديانة المسيحية، ومن الحق أن نقول إنه أنصف الغربيين المعاصرين في علاقتهم بديانتهم، والقارئ لكتابه «كفاح دين» يدرك هذه الحقيقة. وقد أكد في هذا الكتاب علي فكرة أن المسيحية انفصلت عن الدولة اسما لا فعلا، فالمعتقد المسيحي في الغرب موضع عناية كبيرة، وأثره متغلغل في توجيه السياسة الأوروبية، وشاراته في المدارس والجامعات بارزة، ، بل إن النازية والفاشية استعانتا بالكنسية في سياساتهما ورسمتا الصليب علي أعلامهما. ولفت النظر إلي أن واعظ «إيزنهاور» حضر إلي القاهرة في رسالة تبشير، وأن أيزنهاور رئيس الجمهورية كانت لا تفوته صلاة بالكنيسة.

ثناؤه على روح الديموقراطية

كان الشيخ محمد الغزالي محبذا لتطبيقات الديمقراطية وروحها المحققة للصواب، وكان يشير كثيرا إلي أن تسعين في المائة من الديمقراطية البريطانية إسلامي المنبع والوجهة، ولولا أن مجلس العموم البريطاني ومجلس اللوردات قد اشتركا في إباحة بعض الرذائل التي نهى عنها الله (كالشذوذ) لكانت الديمقراطية الإنجليزية من أجمل صور الشوري التي نحبها لبلادنا. وكثيرا ما عبر الشيخ الغزالي عن إعجابه بأداء سيدات أوروبيات وصلن إلي مقاعد الحكم، وكان موقفه الشهير و الساطع من السيدة مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية نموذجا لهذا الإعجاب.

تاريخه مع تقييد الحرية

أما تاريخه مع تقييد الحرية فيتلخص في أنه في بداية حياته قضي في معتقل الطور بسيناء قرابة العام سنة ١٩٤٩، كما قضي أقل من عام في سجن طرة عام ١٩٦٥. أما في مطلع عهد ١٩٥٢ فإنه بسبب خلافه المعلن مع الاخوان لم يصنف من المعادين لعبد الناصر، ومن ثم نجا من محنة الديكتاتور وإن لم ينج بعدها.

تكريمه بجائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام

نال الشيخ محمد الغزالي كثيرا من التكريم ، كما حصل علي أعلي وسام من الجزائر، و علي عدد من الجوائز الأخرى. وفي ١٩٨٩ نال جائزة الملك فيصل في خدمة الإسلام ، وقد سبقه إلي هذه الجائزة من علماء الدين المصريين الشيخ حسنين مخلوف ١٩٨٣ أما الشيخ جاد الحق على جاد الحق ففاز بها بعده في ١٩٩٥ .

ديوان شعره

نشر ديوان شعره بعد وفاته، وقد كتب له الدكتور مصطفي الشكعة (١٩١٧-٢٠١١) المولود معه في العام نفسه مقدمة الديوان، معبرا عن قيمته ، وجودته الفنية.

آثاره

- الاستعمار أحقاد وأطماع
- الأسرة المسلمة وتحديات العصر.
- الإسلام المفتري عليه
- الإسلام والاستبداد السياسي
- الإسلام والأوضاع الاقتصادية
- الإسلام والطاقات المعطلة
- الإسلام والمناهج الاشتراكية
- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام.
- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم
- الحق المر.
- الدعوة الإسلامية.

- الرضاعة الثقافية للطفل المسلم.
- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث.
- الطريق من هنا.
- الفساد السياسي
- المحاور الخمسة للقرآن الكريم.
- المرأة في الإسلام.
- تأملات في الدين والحياة.
- تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل
- جدد حياتك
- جدد حياتك.
- حصاد الغرور.
- حقيقة القومية العربية.
- خلق المسلم.
- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين
- سر تأخر العرب والمسلمين.
- صيحة التحذير من دعاة التنصير.
- ظلام من الغرب
- عقيدة المسلم
- فقه السيرة
- فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء.
- في موكب الدعوة.
- قذائف الحق.
- قضايا المرأة
- كفاح دين.
- كيف تفهم الإسلام.
- كيف نتعامل مع القرآن
- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية.
- مع الله.
- معركة المصحف.
- من هنا نعلم.
- نظرات في القرآن.
- هموم داعية.

المحتويات

إهداء.....٥

هذا الكتاب.....٦

الدكتور عبد الحليم محمود.....١٠

الشيخ الأنور في الزمن الأزهر.....١٠

مكانته في تاريخ الأمة ١٠
من هو سلف الشيخ في وزارة الأوقاف ١٠
عمامتان لا عمامة واحدة ١١
هذان الشيخان زميلا دفعة للشيخ الباقوري..... ١٢
الزملاء الثلاثة المجتهدون ١٢
فضل الشيخ إبراهيم الجبالي ١٣
فضل والده عليه ١٤
التأسي بمحمد عبده و السوربون والثقافة ١٤
هراري عرضوا عليه رئاسة تحرير «الكاتب المصرى»..... ١٥
دراسته في فرنسا و تخصصه ١٥
الدكتور البيومي يشبهه بالغزالي في دراسته للفلسفة..... ١٥
كان التصوف منقذا للإمامين..... ١٦
تعمقه لتجربة المفكرين الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام..... ١٦
عودته لمصر وعمله في كلية اللغة العربية..... ١٦
الإنجاز الازهري في عمله مدرسا لعلم النفس..... ١٧
تدريس علم النفس فيما قبله كان مرتبطا بالتربية لا بالفلسفة ١٧
ظهور روح الثورة الأزهرية في كتابته..... ١٨
تدرجه الوظيفي..... ١٨
مكانته في كلية اصول الدين..... ١٨
كمون مكانته في العهد الناصري ١٩
عمادته للكلية ١٩
دوره في مجمع البحوث الإسلامية و بدء تقنين الشريعة..... ٢٠
لجان تقنين الشريعة و مشروع دستور إسلامي..... ٢٠
توليه الوزارة فالمشيخة ٢١

أصبح معنيا بالإرادة مع الإدارة ٢١
التوجه الشعبي نحو إقرار تطبيق الشريعة..... ٢٢
ملامح الدولة الشمولية التي حاربت عبد الحليم محمود ٢٢
دلالة فكرة الدروس التعليمية في المساجد..... ٢٣
صورة من الذكاء التربوي والسياسي..... ٢٣
وعيه بالدور التاريخي لأوقاف الأزهر واحتضان أجدادنا للعلم ٢٤
استرداد ٧٠ ألف فدان من أراضي أوقاف الأزهر..... ٢٤
معرفة العلماء واهتماماتهم الدقيقة..... ٢٥
ذكريات لقاء مباشر مع الشيخ ٢٥
اهتمامه بخصوبة الدراسات العليا ٢٦
طبيعة الخطوة التي أضاف بها إلى إنجاز الباقوري..... ٢٦
توافق رؤيته مع رؤية الرئيس..... ٢٧
رجل المجتمعات..... ٢٧
لم يغرق مرة واحدة، بل ظل عائما دائماً ٢٨
اهتمامه بالمرافق الأكاديمية للأزهر..... ٢٨
انتعاش فكرة كلية اللغات والترجمة ٢٨
خروجه بنمط التأهيل من العقلية الإنجليزية إلى الفرنسية..... ٢٩
دوره في نشر التعليم الازهري ٢٩
شهادة نصر عبد الغفور عن جهده في التوسع في معاهد الازهر..... ٣٠
لقاء الرئيس الأمريكي كارتر ٣٠
استقبال الملكة إليز ابيث الثانية له ونجاح زياراته البريطانية ٣١
تحفظ د. عبد الحليم على مؤتمرات حوار الأديان..... ٣١
مجاهرته بأن الإسلام هو العامل الأكبر في تثبيت المسيحية ٣١
دوره في نصرة الرئيس أنور السادات ٣٢
دوره في العلاقات العربية..... ٣٢
موقفه من الحرب الاهلية في لبنان ٣٢
موقفه من قضية الصحراء الغربية ٣٣
تأييده وساطة الرئيس السادات الناجحة..... ٣٣
إجلال الرئيس أنور السادات للشيخ عبد الحليم محمود..... ٣٣
مظاهر التكريم المتكرر من الرئيس السادات للشيخ..... ٣٤
الإمامان بيصار وجاد الحق حافظا على تراثه كله..... ٣٤
تركه لخلفائه طرقا معبدة..... ٣٥
إجلال أعلام العصر للشيخ ٣٥
من رثاء مصطفى أمين..... ٣٥
موقفه الأشم من قضية جماعة التكفير والهجرة ٣٦

موقفه القوي من قضية اغتيال الشيخ الذهبي ٣٧
فضل نظام السادات في السماح بالرد ونشر الرد ٣٨
رد الشيخ عبد الحليم محمود على المحكمة ٣٨
حملات الشيوعيين المتصاعدة على الشيخ ٣٩
فتواه المُعلِنة بكفر الشيوعية ٤٠
الدولة العميقة تحارب الشيخ ورئيس الجمهورية ونائبه ٤١
ممارسته لصراعاته الفكرية بدون قداسة ٤٢
قصة معركة الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي ٤٣
قصة الصراع الوظيفي بين مشيخة الازهر و وزارة شئون الازهر ٤٥
منح منصب شيخ الازهر درجة وزير ٤٥
الارتقاء بالدرجة الوظيفية والمالية لشيخ الازهر ٤٦
الحقيقة في منبع الحديث المتكرر عن هذه الجزئية ٤٦
ضمان دولة المؤسسات للبعد عن الاضطرابات الوزارية ٤٧
الحالة الفريدة في عهد الدكتور عبد الحليم محمود ٤٨
كل العوامل كانت تزيد من جرعة الحساسية ٤٨
الإشكالية التي لم يستوعبها الأستاذ علي عبد العظيم ٤٩
رواية منفردة عن نية الشيخ تكوين حزب سياسي ذي خلفية دينية ٥٠
ما ينسب إليه في قضايا المرأة ٥١
المغالطات في قضية المرأة ٥٢
أعداء حرية الصحافة يدللون على خطورتها ٥٢
مأساة الصدى الباقي لجدل مفتعل ٥٣
العلاقات المكبوتة مع البابا شنودة ٥٤
حكمته مع إلحاح الضغوط البابوية الإعلامية ٥٥
البابا شنودة لم يقلد د. عبد الحليم في عنايته بالعلم ٥٥
موقفه من فتنة المناهج الدينية الموحدة ٥٦
الموقف المشرف للدكتور مصطفى كمال حلمي و دعم الرئيس السادات ٥٦
نظرية الطرفين في معادلة الفتنة الطائفية ٥٦
زياراته الإسلامية ٥٧
ذريته ٥٧
مؤلفاته ٥٧
اهتماماته الأدبية ٦٠
ترجمته لأحد أعمال اندريه موروا ٦٠
مسلسل عن حياته ٦٠
وفاته ٦٠

العلامة عبد المنعم النمر ٦١

الثمرة الناضجة للاتزان الأزهري النشط ٦١

قصة لقاء مبكر معه ٦١
المقارنة بين المجلتين ٦٢
الصحافة الإسلامية ٦٣
مجلة الوعي الإسلامي ٦٤
مجلة منار الإسلام ٦٥
نشأته وتكوينه العلمي ٦٥
وظائفه ٦٥
في الإخوان و السجن في محنة ١٩٤٨ ..... ٦٦
رواية الدكتور أحمد الشرباصي عن معتقل «الهايكستب» ٦٦
نشاطه في مجلات الإخوان المسلمين ٦٧
احتجابه بعد حادث المنشية ٦٧
عمله في خارج مصر ٦٨
مواصلته لدراساته العليا ٦٨
عودته لمصر ٦٨
مناصبه القيادية في عهد السادات ٦٩
وكالة الأزهر بنهاية عهد الدكتور عبد الحليم محمود ٦٩
توليه الوزارة ٦٩
الإصلاح الإداري في هيئة الأوقاف المصرية ٦٩
إحياء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٧٠
توفير كتب ترجمة معاني القرآن الكريم في الفنادق ٧٠
لجان تقنين الشريعة الإسلامية في مجلس الشعب ٧٠
اجتهاداته العلمية وانحيازه للاجتهاد ٧١
انحيازه للاجتهاد في المعاملات المصرفية ٧١
عضوياته في المجالس العليا للثقافة والصحافة ٧١
دوره الحاسم في إيقاف مهاترات السياسة ٧٢
إعجابه بالإمام الشهيد حسن البنا و ثناؤه عليه ٧٢
ثناؤه علي موقف الإخوان من قضية التكفير ٧٢
انتقاده الخوميني و ثورة ايران وانتقاده للشيعة ٧٣
مشاركته في الشحن المعنوي في الحرب العراقية الإيرانية ٧٣
رحلاته الخارجية ٧٣
عضويته في مجلس الشعب ٧٣
جائزة الدولة التقديرية في الآداب ٧٤

ذكرياته ٧٤
من رثاء الدكتور صوفي أبو طالب له ٧٤
وقال الدكتور محمد حسن الزيات في رثائه ٧٥
رسالته للدكتوراه ٧٥
مؤلفاته مرتبة أبجديا ٧٥
تكريمه ٧٦
وفاته ٧٦

العلامة سيد سابق..... ٧٧

الذي يسر علوم الفقه للجماهير المسلمة..... ٧٧

مكانته في الثقافة الإسلامية..... ٧٧
سيد سابق لم يخرج عن الترتيب الكلاسيكي..... ٧٨
تأثره بالإمامين محمد عبده والمراغي ٧٨
الفقه أعلي وأغلي من أن يخضع للفلسفة ٧٨
قدرة مقاربته للفقه على الاستيعاب..... ٧٩
المحاور العملية الثلاثة التي نجح فيها..... ٧٩
الجنوح إلي التيسير علي الناس ٧٩
حرصه على البعد عن ذكر الخلاف ٨٠
إيمانه بضرورة الايمان للحياة..... ٨٠
نشأته..... ٨٠
مقارنة سريعة بينه وبين الشيخ الغزالي..... ٨٠
بدايته في الجمعية الشرعية ٨١
حرب فلسطين..... ٨١
اتهامه في قضية مقتل النقراشي ٨١
نشاطه في عهد عبد الناصر..... ٨٢
انتقاله من الأوقاف إلى الأزهر..... ٨٢
مجده في عصر السادات ٨٣
تدريسه في الأزهر الشريف ٨٣
مكانة الشيخ في علم الفقه ٨٣
من تقديم الامام الشهيد حسن البنا لأول أجزاء فقه السنة ٨٤
وجه الحقيقة في رأي الشيخ الألباني في كتاب فقه السنة ٨٤
ثناء الشيخ الألباني في مقدمة تمام المنة على كتاب فقه السنة ٨٥
الألباني يرى كتاب فقه السنة ضرورة من ضرورات العصر ٨٥
الألباني يحث على اقتناء كتاب فقه السنة ٨٦

تلخيص القرضاوي لنقد الألباني ٨٦
شهادات الشيخ القرضاوي للشيخ سابق ومنهجه في فقه السنة ٨٧
طبيعة الإشراق في شخصية الشيخ سيد سابق ٨٧
كان هو المعتمد لدي الإخوان في الفقه..... ٨٨
ليس من دعاة اللا مذهبية ، وإن لم يلتزم مذهبا..... ٨٨
شهادة الأستاذ مصطفي مشهور ٨٨
فوزه بجائزة فيصل في الدراسات الإسلامية ٨٩
قائمة آثاره (بالترتيب الأبجدي) ٨٩
وفاته ٨٩

الشيخ محمد الغزالي..... ٩٠

الذي تفلسف فازداد يقينا..... ٩٠

وظف التفلسف كمهارة و الفلسفة كأداة..... ٩٠
تسميته لأبنائه من قصيدة ولد الهدى ٩١
مقارنة سريعة بينه وبين جمال حمدان..... ٩١
مقارنة سريعة بينه وبين فؤاد زكريا وزكي نجيب محمود..... ٩١
مقارنة سريعة بينه وبين الشيخ سيد سابق ٩٢
التفريق بينه وبين من ينتمون إلى عائلة الغزالي الجبيلي ٩٢
نشأته..... ٩٢
وظائفه..... ٩٣
وكيلا لوزارة الأوقاف ٩٣
ممارسته للأستاذية الأكاديمية ٩٣
دوره الإنشائي في جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بالجزائر..... ٩٤
رئاسته للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة. ٩٤
انضمامه المبكر لجماعة الاخوان المسلمين ٩٤
كان من أبرز كتاب الإخوان ٩٤
أزمته مع الإخوان ٩٥
التيقظ لحركة المجتمع من حوله ٩٥
هضمه لأدبيات أعلام الفكر المعاصرين..... ٩٥
هو مَنْ أطلع المسلمين على مذابح إخوانهم في الحبشة ٩٦
تميزه في الكتابة والخطابة معا..... ٩٦
نجاحه في صياغة لغة عصرية ٩٦
اشتراكه مع الأستاذ سيد قطب في مقاربة الاقتصاد ٩٦
موقفه من الفكرة الاشتراكية..... ٩٧

بداية تلمسه للطريق الثالث ٩٧
الآثار النفسية للرأسمالية والشيوعية ٩٨
لم يتكسب بنقده العنيف للشيوعية ٩٨
عنايته كالشيخ شلتوت بالطبيعية التشريعية في الإسلام..... ٩٨
تفنيده القوي لدعاوى المستشرق المجري جولدتسيهر ٩٩
تصويبه للتوجهات المستهدفة لعصرنة الإسلام ٩٩
رده الشهير على صديقه الأستاذ خالد محمد خالد..... ٩٩
شجاعته في مواجهة التعصب ضد المسلمين ١٠٠
رده على دعاوى الكاتب اللبناني جاك تاجر ١٠٠
عقيدة الإسلام في عصر المادية..... ١٠٠
تجليته للجوانب الفلسفية في عقيدة الإسلام ١٠١
عنايته بالتربية في معناها الواسع ١٠١
رأي الدكتور البيومي في كتابه «فقه السيرة» ١٠١
كان مؤرخا منشئا صاحب رؤية ١٠٢
كان دارسا متفقها في تاريخ الأديان ١٠٢
ثناؤه على روح الديموقراطية ١٠٢
تاريخه مع تقييد الحرية ١٠٣
تكريمه بجائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام ١٠٣
ديوان شعره ١٠٣
آثاره ١٠٣

Prof. Mohamed El Gawady

ISIN : 0000 0001 2122 604X

The Turban in Islamic Awakening Era 1971-2000

دار الروضة
للطباعة والنشر والتوزيع

نستعرض في هذا الكتاب سير أربع من الشخصيات التي كانت بمثابة النجوم الهادية في عصر الصحوة الإسلامية التي ارتبطت بوصول الرئيس أنور السادات إلى الحكم وتمكنه من مفاصل السلطة بعد شهور من توليه ، و ظهرت إشاراتها بإعلانه شعاره العلم والإيمان ، وبداية إعلاء كلمة الإسلام في كل ما يتصل بالحياة.

- الشيخ عبد الحليم محمود
- الشيخ عبد المنعم النمر
- الشيخ سيد سابق
- الشيخ محمد الغزالي

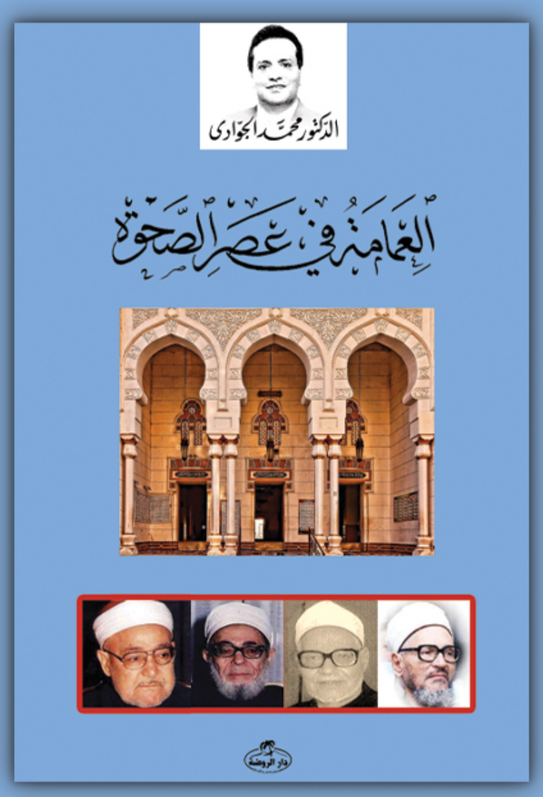

دار الروضة
للطباعة والنشر والتوزيع

9 786257 580717

51